



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤

مكتبة الأسرة

إبداع المرأة

مسافر فى دمى والإمضاء، سلوى

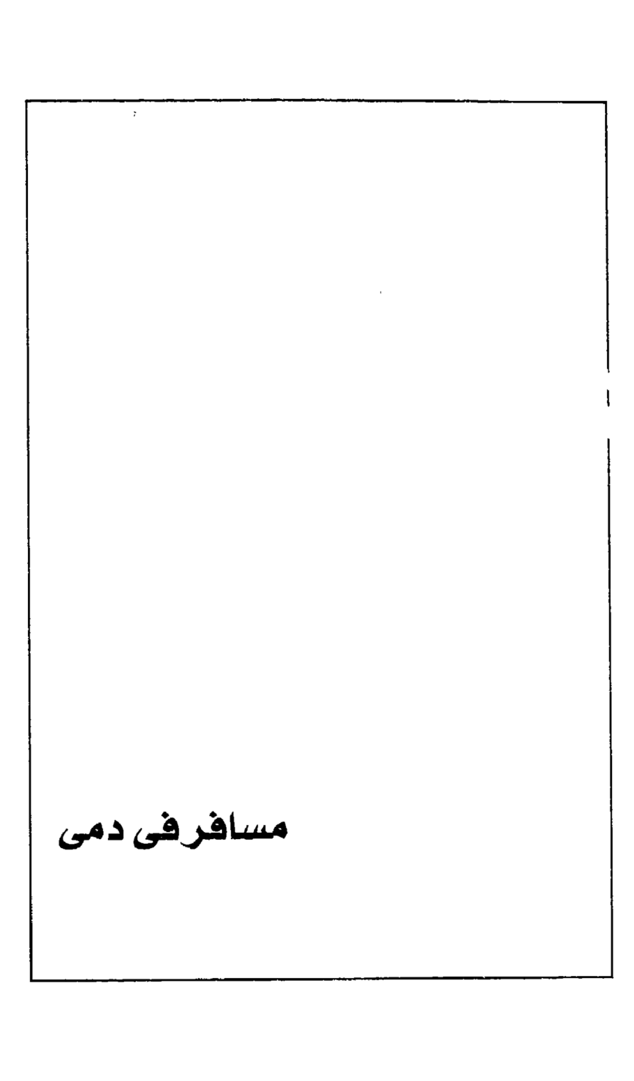
روايتان

عائشة أبو النور





سنوات



مسافر فی دمی

مسافر فى دمى

عائشة أبو النور

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة إبداع المرأة)

إشراف : عفاف السيد

مسافر فى دمى

عائشة أبو النور

الغلاف والإشراف الفنى:

للفنان: محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:

صبرى عبد الواحد

الإشراف الطباعى:

محمود عبد المجيد

المشرف العام :

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

السيدة التى جعلت من الكتاب وطنًا!

د. سمير سرحان

مرت عشر سنوات منذ إنشاء «**مكتبة الأسرة**» وأذكر أنه كان يومًا مشهودًا، حين جلسنا مع عدد من المثقفين والوزراء والمفكرين حول تلك السيدة العظيمة التى كانت عيناها تشخص إلى السماء حيث أحلام كثيرة تدور بذهنها الذى لا يتوقف عن التفكير أبدًا.

كانت منذ سنوات قد أنهت رسالتها من الماجستير، التى كان من نتائجها ضرورة إصلاح أحوال المدارس الابتدائية، ورفع مستواها العلمى والتعليمى، وحتى مستوى الأبنية والخدمات.. فكان الأساس فى ذهنها، كما أدركت بعد ذلك معظم الدول الكبرى أن العملية التعليمية هى أهم ما يميز الأوطان، وأن الطفل الذى يمثل البذرة الأولى فى بناء مستقبل أى وطن هو البداية الحقيقية، كنا نتعجب جميعًا فى صمت ونحن جالسون حول تلك المائدة الصغيرة.. لماذا لم يفكر أحد من قبل فى الطفل، ولا أعنى صحته فقط، أو ما قد يصيبه من أمراض، أو مستوياته الاقتصادية

والاجتماعية.. لماذا لم يفكر أحد فى الطفل الإنسان؟! أى فى عقل الطفل ووجدانه، والانطباعات المختلفة، التى يكتسبها من عملية التعلم، وبخاصة من القراءة الحرة، وليس قراءة الكتب المدرسية فقط.

وكان الطفل المصرى فى ذلك الوقت معتادًا أن يمسك بالكتاب المدرسى ويصب عليه كل ما فى طاقته من كره وسخط، ويحفظه حفظًا آليًا بلا فهم، ويُفرّغ هذا الفهم على الورق لينجح وينتقل من سنة دراسية إلى أخرى، أما فى آخر السنة فكانت العادة أن يرمى الكتاب المدرسى من النافذة، كأنه قد تخلص من عبء ثقيل.

كانت السيدة العظيمة، التى قُدّر لها أن تعنى بمستقبل مصر، وأن تكرس حياتها لبناء هذا المستقبل، تفكر فى الطفل كإنسان، وكعقل، وكروح،.. لقد اكتشفت أن كل ذلك لا يأتى إلا بالقراءة، والقراءة خارج المقرر الدراسى، كما لا يأتى أيضًا إلا من خلال كتاب يوضع فى يده ليحبه شكلاً ومضمونًا، ويحتضنه فى سريره وهو نائم، ويطلق من خلال المادة التى يقرؤها فيه، العنان لخياله، فيسافر من خلال هذا الكتاب إلى عالم سحرى من الأماكن والأفكار والمشاعر والرؤى.

لمعت العينان الذكيتان بعمق الفكرة، وأهميتها لوطن يبنى نفسه ويضع نفسه على مشارف القرن الحادى والعشرين، وبعد أربع سنوات من افتتاح المكتبات العامة فى الأحياء الفقيرة والمُعدَمة،

كانت الفكرة الرائدة قد اكتملت فى ذهنها فأصبحت سوزان مبارك صاحبة أعظم مشروع ثقافى في القرن العشرين وأوائل الحادى والعشرين.. «**مكتبة الأسرة**».

وكانت فكرة مكتبة الأسرة بسيطة وعميقة فى نفس الوقت، وهى أن نقوم بغرس عادة القراءة فى نفوس ملايين أبناء الشعب الذين لم يكن الكتاب من قبل جزءًا من حياتهم.. وأعتقد أن هذا الهدف قد نجح تمامًا، فقد كان بعض من يسخرون من الشعب المصرى، محاولين الحط من قدره يصفونه بأنه شعب **الفول والطعميه**، وأعتقد أنه الآن وبعد عشر سنوات من صدور مكتبة الأسرة، أصبحوا يسمونه بلا تردد شعب الكتاب والقراءة والعلم والمعرفة.. لكن الهدف الأعمق والأسمى كان إعادة بعث التراث الأدبى والفكرى والعلمى والإبداعى الحديث لهذه الأمة، وهذا يؤكد بالفعل لا بالكلام ريادتها وقيادتها الثقافية والفكرية فى عالمنا العربى، كما يؤكد عظمة ما جاء به عصر التنوير المصرى لينقل العالم العربى كله من عصور الظلام المملوكية والاستعمارية إلى شعوب تعيش عصر العلم والتقدم، وتبنى شخصيتها الثقافية وحضورها الثقافى على مدى العالم..

وها قد أصبحت مكتبة الأسرة بعد عشر سنوات من الجهد المضنى والمتواصل تقدم أكثر من عشرة ملايين كتاب موجودة الآن فى كل بيت مصرى، تحمل صورة السيدة التى فكرت ونفذت هذه

الذخيرة من الفكر والإبداع التى تثرى عقل ووجدان كل مواطن طفلاً كان أم شابًا، ليس فى مصر فقط، وإنما فى العالم العربى كله.. وأصبحت المادة التى تضمها هذه الكتب هى أساس راسخ لتكوين مواطن المستقبل، وأصبحت معظم الدول العربية والمؤسسات الدولية تطلب تطبيق التجربة المصرية على أرضها.

هل كان مجرد حلم لسيدة عظيمة شخصت بنظرها إلى السماء باحثة عن المستحيل، أم كان مجرد حلم رائع، هائل القيمة والحجم وتحقق.. تحية لهذه السيدة العظيمة «**سوزان مبارك**»، واحترامًا وحبًا بلا حدود على قدرتها لتخيل المستقبل، وبناء إنسان جديد لوطن جديد.

وستظل صورة السيدة **سوزان مبارك** موجودة على كل كتاب، وفى كل بيت تُذكّر كل مصرى أن الحلم الحقيقى ليس بالمال، وليس بالتهافت على الماديات، إنما هو «**المعرفة**» وبدون معرفة فى هذا العصر لا يوجد وطن، وإذا فقد الإنسان الوطن فقد ذاته.. بل فقد كل شىء يربطه بهذه الحياة.

د. سمير سرحان

مسافر فى دمى

١

ثقيل الظل . . ميت الأنفـاس . . الصباح الذى يولد بلا أمل فى رؤيتك .

لن أراك بعد اليوم !

قلتـها ليـلة الأمس بصوت جـامـد يتسـتـر على أحاسـيس منصهرة .

هذا قرارى . فكرت طويلاً . . تعذبت كـثيراً . . وقررت أن أحسم تيار الألم والعذاب .

لن أراك بعد اليوم !!

❁ ❁ ❁

لا زلت مع إشراقة الفجر ممددة على فراشى . .

مصلوبة الساقين والقدمين معلقـة النظرين على شماعة الجدار البارد .

هذا صـباح آخـر بدونك . . ميت الأنفـاس . . بلا أمل فى رؤيتك .

مـربوطة فى عجلة الحـيـاة . . قمت ليـجـرفنى التيـار . . مستـسلمة إلى قدر مـجهول الهوية . . يحـملنى . . يرفعنى . . يسقطنى يدور ويلف بى فى حلقة مفرغة . . محكمة الإغلاق . . لها أسنان حادة تشبها فى جلدى .

ثقوب جلدى مغـارات فارغة . . عارية العـروق . . خرساء النبض . . فقيرة الدم .

أغطى شماعة هيكلى العظمى ببعض القطع فاقعة الألوان . . أرتدى حذاء جلديا بعنق طويل حـتى الركبتين . . وحول رقـبتى أعلق مشنقة يقولون إنها تحمى من البرد .

أخرج إلى السهـول والجبال والهضاب . . أمر بالنهـر والبحر والمستنقع والصحراء . . هدفى أن أسير بلا هدف . . تحت جلدى تعيش غـجرية متنكرة فى ثيـاب باريسية . . يحلو لها أحـيانًا أن تكون ورقة شجر فى مـهب الريح . . بلا جذور ولا أغصان ولا ثمار .

❁ ❁ ❁

وهذا صباح آخر بدونك .. ثقيل الظل .. بلا أمل فى رؤيتك !

فى محاولة انتحارية متعمدة لنسيانك .. تعرفت عليه فى أحد مقاهى المدينة . غجرى متنكر فى ثياب رعاة البقر .. هدفه أن يسير بلا هدف .

قمنا معا واتجهنا نحو اللاهدف .

فى الطريق قلت له إنى أكذب عليه .. وأنى أخفى تحت جلدى فتاة غجرية .

بعد خطوات توقفت وقلت له إنى خدعته .. لأنى أحمل فى قفصى الصدرى قلبا متصدعا مفتتا .

ابتسم فى مرارة وقال بأنه ليس واثقًا إن كان لا يزال يحمل قلبا !

توقفت عن السير للحظة .. وقلت له إنى أغشه .. لأن فى خيالى ذكرى حية لرجل أخذ من عمرى بإسراف وأعطى ببذخ .

عقد عن حاجبيه وقال بلا اكتراث .. إن فى خياله ذكريات باهتة لفتيات لم يبق منهن أثر !

تسمر الغجرى عند حجرة مكعبة .. فتح بابها ..

قال : لنبدأ التعرف !

أرتعدت الغجرية بداخلى .. أسرعت بصد وجه الباب ..

خطوت فى الطريق .. صرخت .. «هذه طريقة حيوانية للتعارف» .

استوقفنى .. أمسكنى من يدى .. قال مبرراً .. بأنها أقصر وأصدق طريقة للتعارف .

أنتفضت بعصبية .. قلت : كيف وأنا لا أعرف عنك غير اسمك ؟!

قال بتعاطف طفولى شرس : لن تعرفينى إلا هكذا .. فكل ما هو دون ذلك ادعاء وزيف !

قلت بحسم : أنا مصرة على موقفى .

قال بعناد : وأنا مصر على موقفى .

قلت باستخفاف : بعد أن فقدت قلبى لن يضيرنى أن أفقدك .

قال بكبرياء : لك ما تشائين .

قلت بتعال : الوداع .

وركضت بخطوات متسرعة .. وفى لحظة استوقفتنى يد حاسمة .. التفت فزعة .. كانت عيون الغجرى قاربا تائها بلا شراع يبحث عن المرفأ فى عيونى .

قال بكبرياء عاطفى : لقد قبلت موقفك ! ذاب غضبى .

قال : أراك غداً ؟

ابتسمت فى رضاء .. ومضى كل منا فى طريقه نحو اللاهدف !!

❁ ❁ ❁

وهذا صباح آخر بدونك .. بلا أمل فى رؤيتك !

قرارى حبل مشنقة يعصر روحى .. يفتت عظامى .. قرارى خلاط كهربائى يدور بسرعة صاروخية .. يفرم عقلى مع إرادتى مع نبض شعورى .. فلا يبقى منى إلا فتات لحم وعظم ونبض مهزوم .

ذهبت إلى المحكمة . . وقفت أمام القاضى .

سألنى : هل يضربك زوج ؟

بتعجب **قلت** : لا !

قال : هل يسبك سبا مهينا جارحا ؟

باستياء **قلت** : لا .

قال : هل يمتنع عن الصرف عليك ؟

باستنكار **قلت** : لا .

قال : لماذا إذن تطلبين الطلاق !

باقتناع **قلت** : لأنه ألحق بى أضرار أبلغ من كل هؤلاء .

رفع حاجبيه وبفضول **قال** : كيف ؟!

قلت : أهملنى .

بدهشة ألح : وكيف ؟!

قلت : استخف بقيمة عواطفى . . سخر من طموحى . . صورتى عنده مزيج من إنسان وحيوان . . . . فى نظره أنا طفل يحبو فى رحاب عظمته . . مجرد رعية تافهة فى مملكة هو

سلطانهـا . . له حق الوصاية وعلىَّ واجب الطاعـة . . وإذا كـان لا إكراه فى الدين . . فكيف بالإكراه فى الزواج ؟؟

ابتسم القاضى فى استخفاف لم ارتح له . . ثم صرخ أمرًا :

تؤجل الجلسة لسماع أقوال الزوج .



هذا صباح ثقيل الظل بلا أمل فى رؤيتك .

فى المقهى جـلست فى مقابلة الشـاب الغجـرى . . كنت قد خلعت ثيابى الباريسية وتشبهت به . . غطيت عظامى بثياب رعاة البقر . . سألنى عن حـياتى . . قلت له إن تاريخ مولدى يبدأ مع أول نبضة خفق فيها قلبى بحب حبيبى . . ارتسمت على ملامحه الغيرة والغيظ . . سألنى عن سبب ارتباطى بمن أحب !؟

ارتشفـت قهوتى ونفـثت دخـان سيـجارتى . . وبلا تفـكير أكدت . . «معه أشعر بآدميتى» . .

لم يفهمنى !!

فسرت بأنى معه أكون إنسانًا كاملاً وصحيحًا .

تاه أكثر .

حاولت أن أشرح مزيدة . . بأنه يحب عـيوبى أكثر مما يحب فضائلى . . ركزت على براعة من أحب فى

فسرت بأنى معه أكون إنسانًا كاملاً وصحيحًا . تاه أكثر .

التعامل مع أوجه الجنون والتناقض فى شخصيتى .

ابتسم فى اصفرار وسألنى فى خبث عن زوجى ؟؟

اعترفت بأنى لا أجـيد التعامل مع الأوراق الرسـمية . . وأن ما بينى وبين زوجى لا يزيد عن ورقة رسمية .

طلب فنجان قـهوة ثان . . فتح علبة سجـائر ثانية . . ودون أن ينظر فى عيونى سألنى عن مفهومى للخيانة ؟!

قلت عن قناعة كاملة : إن الخيـانة هى خيانة النفس . . وأنا أخون نفسى عندما أخون مشاعرى الصادقة .

دفن سيجارته فى المطفأة . . وفى هذه المرة نظر بتركيز شديد فى عينى وقال : وما هو دورى فى حياتك ؟!

قلت وأنا أحتسى بقايا قهـوتى : قد تكون صديقا وقد تكون لا شىء !!

صفعـته صراحتـى وقـرر أن يـرد لى الصفـعـة . . فقـال بأنه

لا يؤمن بالصداقة بين الرجل والمرأة خاصة إذا كـانت فاتنة ومثيرة مثلى .

ابتلعت الصفعة وقلت بأنه يثير اشمئزازى نوعه من الرجال.. الذين لا يرون فى المرأة سوى كوم من اللحم . .

ضحك بوحشية واتهمنى بأنى معقدة !

عقـدت حاجبىّ فـى تكشيـرة واضحة ، واتهـمتـه بالنذالة والجبن . وجم للحظة وقـبل أن يفيق كنت أفتـح باب المقهى . . وانسل خارجة متجهة نحو اللا هدف !



وهذا صباح آخر بدونك !

قرارى جنين مسجون فى أحشائى مكتمل الخلق والنمو . .

آلام المخاض تضغط على أنفـاسى . . توجعنى . . طلقة كل عشر دقائق . . تحدث تقلصات فى قلبى .

تتـضـاعف سـرعـة الطلقـات . . كل سـبع دقـائق . . كل خمسة. . كل اثنتين . . كل دقيقة . . يحدث الانفجار . . المولود المسجون فى أحشائى يشق حاجز الصمت وينطلق . . يصدر رنينا

منتظما عاليـا . . يحضرنى صوت حبيـبى . . فيرتجف قلبى . . الغـجـرية بـداخلى ترقص . . أنسى كل مـا قلـتـه عن الفـراق والقـرار . . يذوب فـى صـدرى كـل إحـسـاس قـديم بالعـذاب والألم . . يغنى صوتك . . تبشرنى :

سنسافـر إلى بلاد رعاة البقـر . . اشترطـت عليهم أن تكون معى . . موافقة ؟!

يضحك صوتى وأنا أداعبك : هل تمزح ؟ طبعا موافقة !

وطرت إلى المدرسة . . يحـملنى جناحا الهـواء . . أمسكت بالقيثارة . . التف من حولى الأطفال كزهور الزنبق . . غنيت . . غنوا معى . . كأننا فى جزيرة الطيور : «غنوا يا أطفال العالم . . فغدا نصنع عالما صحيحًا» .

أقتربت منى عصفورة جميـلة . . رفرفت مبتهجة : «صوتك جميل قوى النهاردة يا أبلة» !

أحتضنتها فى صدرى . . كأنى أحتضن الحياة كلها . . قبلتها وأنا أردد فرحة :

«اليوم عاد قلبى إلى عمر قلوبكم » .



وهذا صباح جديد مشرق بالأمل فى رؤيتك !

ذهبت إلى المحكمة .. جلست قبالة القاضى .. نظرت إلى الجانب الآخر .. لم أجد زوجى .. لم يحضر الجلسة .. كان محاميه يجلس بمفرده .

وعند افتتاح الجلسة تقدم المحامى من القاضى ..

قدم له ورقة .. قال إن موكله قد تنازل عن القضية .. لأنه تزوج .

شعرت بالإهانة .. «هل كان يقصد أن يقلل من شأنى فى جلسة مفتوحة أمام كل الناس» ؟!

خرجت من دار المحكمة استنشق هواء الحرية ، أخيراً انتهت كل مشاكلى .. سرت فى الشوارع.. وسط الزحام .. أفكر فى مستقبلى.. ظهرت أمامى مشكلة جديدة.. ماذا أصنع بحريتى ؟ لم أكن حرة فى حياتى من قبل .. ماذا يصنع الأحرار بحياتهم .

تذكرت عبارة قرأتها فى كتاب :

«الحرية هى الإحساس بالمسئولية» .

سرحت بخاطرى: إذن فلقد اخترت لنفسى طريق المسئولية ؟

وأدركت أن مشاكلى لم تنته . . لكنها بدأت توا !

وجدت نفسى أقف أمام الاستديو . . دخلت . . أمسكت بقيثارتى وأمام الميكرفون غنيت . . خرج صوتى مزيجا من الشجن والفرح . . بعد التسجيل صفق لى المخرج . . قال بأنى لم أغن بمثل هذه الروعة من قبل . .

قال : نبرة جديدة مشبعة بالصدق تلف أوتار حنجرتك الماسية .

ابتسمت فى رضاء وقلت : ربما لأننى تصالحت أخيراً مع نفسى !



وهذا صباح جديد كله أمل فى صحبتك !

قدت سيارتى ورذاذ الدموع يغشى رؤيتى . .

كنت تجلس إلى جوارى واجما . . الطريق إلى المطار مزدحم بعشرات المئات من العربات . . حاولت أن أشرح لك سبب عدولى عن السفر . . خنقتنى دموعى فلم أنطق بحرف .

أسـقطت أنت جـدران الصمـت وقلـت وأنت تنظـر نحـوى بحزن :

لا زلت لا أفهم سبب عدولك عن السفر . . هل كففت عن حبى !؟

مسحـت بظـهر كفـى دمعـة أمطرت على خـدى واعترفت : أنا اليوم أحـبك أكثـر من أى وقت مضى . . ولكن كـيف أشرح لك أن مسـئوليتـى تقتضـى أن أبقـى . . كـما أن مـسئولـيتك تقتضـى أن ترحل .

وجمت ولم تجبنى كنت بعدك غير مقتنع .

توقـفـت السـيارة أمـام باب المـطـار . . حـاولت أن أشـرح لآخر مرة :

«حبيبى . . قد تتفرع الطرق أثناء السير لكنها سرعان ما تعود وتلتقى» .

عبست ولم ترد . . مسحت على شعرك برفق . . وقلت :

أريد منك ابتسامة قبل الرحيل . . أصـحبها معى فى وسادتى كل ليلة إلى أن تجىء .

تحاملت على نفسك وابتسمت لمجرد إرضائى .

طبعت على شفتيك قبلة عميقة . وكانت آخر كلماتى :

- سأنتظر بشوق ولهفة عودتك .

ورحلت أنت .

وسرت أنا نحو الهدف !



٢

ها قد مر عام على يوم وداعك فى المطار .

لم أخن عـهـدى لك .. لا زلت أصحـب ابتسـامـتك فى وسادتى كل ليلة قبل أن أنام .

أشيـاء كثيرة تغـيرت فى حياتى .. يشـهدون فى بلادى أنى أصبـحت نجمة لامعـة .. أتفرج على صورى المعلقـة على أغلفة المجلات .. وأسـتمع إلى صوتى فى الإذاعة وأرى نفـسى أتحرك على شـاشة التليـفـزيون .. وإحسـاس بالغربـة يشملنى وكـأنى متفرجة مدعوة إلى مهرجان سحرى كل من فيه غريب حتى أنا .

حاولت أكثر مـن مـرة أن أنعـم بشهـرتى الجديدة .. أستمتع بهـا .. أن أقلد النجـوم الـكبـار .. ألبس المايـوه .. وأدعـو المصورين والصـحفيين على حفلة غـذاء حول حمام السـباحة فى قـصر المنتـج الكبيـر الذى يحـتكر جـهودى .. أن أرتدى أمـام

عدسات التـصوير ابتسامـة خادعة . . وأن أختلق للجـمهور كل أسبـوع قصة حب وهميـة . . تضمن تغلغل اسمى بين مـختلف الطبقات .

حاولت أكثر من مـرة أن أتغلب على إحساسى المزمن القاتل بعدم الانتـماء إلى زمـان أو مكان أو إنسان . . حاولـت حقيـقة حاولت . . جـربت أن أكون منتميـة . . آمنة . . مطمئنة . . فى حضن مكان أو شخص .

كان آخر عهدى بالأمان عندما كنت أتكور كعصفور مبتل بين دفء جناحيك . . لحظتهـا كانت تتجمع كل أجزائى المبـعثرة فى أنحاء الأرض وتعود لتسـرى وتصرب فى النهر الأم . . فلم يكن يهمنى لحظتـها أن أكون نجمة أو مـشهورة . . غنية أو فـقيرة . . معـك كنت أشعـر باكتفـاء ذاتى كامل . . فـلا يعد يعـوزنى أو ينقصنى شىء .

لم أكن أكذب حبيبى . . لم أكن أبالغ عندما كنت أرفع لك عينـين لامعتين . . وأنا أزيد مـن إحكام جناحيك حـول صدرى وأهمس لك :

- معك . . أشعر أنى على ما يرام !



«يجب أن تتعلمى استغلال نفسك» .

قالها وهو يدس خاتما ماسيا ثمينا فى أصبعى .

«مواهبك كثيرة ومتعددة .. كل واحدة منها لو أحسنت استغلالها لحققت لك ثروة » !!

إنها طلقات الرصاص التى تلاحقنى كلما التقى وجهى بوجه ذلك الرجل .. سميك الجلد .. متضخم الكرش .. متبلد الشعور المسمى بالمنتج المحتكر لجهودى .

شعرت بالقرف والغثيان عندما تحققت أنى مربوطة فى مقعد داخل طائرة .. وإلى جانبى مربوط ذلك الجوال المحشو بالنقود وبجميع أنواع الغزائر الحسية غير المروضة .

تهربت من الواقع المفجع إلى النوم .. أغمضت جفونى .. أطلقت جدائل فكرى إلى ما لا حدود ولا أرض .. شطحت بخيالى وأنا أفكر .

«ها هو حلم من الأحلام الكبيرة القديمة يتحقق .. السفر فى رحلة فنية .. وإلى أوربا» .

عذابى أنى لا أعرف كيف أحول أحاسيس آلامى وإحباطاتى السابقة .. إلى فرحة وبهجة بمتعة قادمة .

« الإنسان سجين نفسه » !

حقيقة أكتشفتها وأنا مغمضة العينين على ارتفاع ألف ميل من مستوى الأرض .

«والفنان سجين معذب لأنه يبحث ويحلل فى أعماق سجنه »!

حقيقة أخرى اكتشفتها . . وأنا أسد أذنيى عن صوت شخير المنتج المحكوم علىَّ صحبته فى رحلتى نحو الحلم .

الآن أتساءل . . كيف أستطيع أن أكون حقا حرة ؟.

فبالرغم من كل مظاهر حريتى الخارجية . . إلا إنى أشعر بأغلال مجهولة غامضة تكبل روحى . . وبصدرى يضيق حتى يكاد يسحق رئتاى فلا أعود انبض ولا أتنفس .

لماذا لا أستطيع أن أتحرر داخليًا وقد أستطعت أن أتحرر مظهريا .

إنى أتعذب وأنا أحس نفسى سجينة جسدى . . سجينة المعتقدات المتوارثة التى تلجم عقلى . . سجينة اللغة والحروف التى أتحرك فى إطارها . . سجينة الإحساس الذى لا يجد الزمان ولا المكان ولا الأشخاص حتى يخرق معهم القضبان وينطلق .

في أعماقي صوت يلح .. يصرخ :

«أريد أن أكون نفسي .. لكن كيف» ؟!

❁ ❁ ❁

الحنين .. الحنين .. إليك .. يعصرني .. يمتصني .. يصفيني . اللحظات .. تمضي ثقيلة .. بطيئة .. طويلة .. وأنا أعيش وأنتظر .. وكأني مسافرة على رصيف محطة .. ترقب وتنتظر .

ولكن .. ماذا أنتظر ؟ هل هو ذلك الشيء الذي أعرف أنه أيضًا في انتظاري .. منذ خلقت .. منذ خلق .. هناك لحظة .. أعرف أني عندما ألقاها سوف أقول نعم .. عرفت الآن لماذا جئت إلى الحياة .. فهمت الحكمة من وجودي فيها .. لحظتها ربما لن أندم على أني عشتها .. وأني قضيت عمرًا أتمزق فيه وأنا أقنع نفسي بأن الوجود ليس بالعبث تمامًا .. وأنا هناك حكمة وراء كل شيء .

في موناكو .. فاجأتني الاستقبالات الحارة لجمهور المعجبين .. نظرت في دهشة نحو المنتج ومدير دعايتي الذي يملك عدادا طبيعيا يحسب كل شيء .. همس في أذني :

- إذاعة مونت كارلو نقلت خبـر موعد وصولك .. كذلك الصحف المحـلية .. إنها الجـماهيـر العربية التـى جاءت من كل فرنسا لتستمتع بحنجرتك الذهبية !

ولم أشعر إلا والدموع تغـمر وجهى .. وهم يحيطون عنقى بأطواق من الزهور .. ويمطروننى بـالقبـلات والترحـاب المملوء بالحب ودفـء المشاعر .

نقطة ضـعفى الخطيرة .. أنى أنـهار تلقائيًـا .. وأسلم كل أسلحتى الوقائية أمام كل كلمة وتعبير صادق نحوى بالحب .

لحظتها أفقـد كل عناصر مقاومتى الخارجـية .. وأعود طفلة نقية .. مـجرد زهرة برية ترتوى بالحب .. وتنثر حولها رحـيقا ساحراً مخدراً عبأه الحب .

فى حجرتى الأنيـقة بالفندق الفخم المطلة شرفـته على منظر أسطورى فى جـماله الطبـيعى .. بين البـحر صافـى الزرقة .. والجبل المفروش بالخضرة .. والكورنيش المزروع بكل ألوان الحب وأنواع الزهور .

دخل المنتج ذو الكرش الضـخم .. والجلد السمـيك الداكن

الذى تفوح من مسـامه رائحة المال . . وجذبنى بطريقة اسـتفزازية من خصرى . . وبلا مـقدمات ضمنى بقوة إلى كـرشه . . حتى شعرت بأنى تقلصت وتحولت إلى لقمة خبز تعوم داخل أمعائه . . وفى ثانية كان يأكل شفتاى . . يمضغهما . . تمامًا كما يمضغ قطعة كباب فى مطعم الدهان .

منعت نفسى بصعوبة من التقيؤ داخل فمه . . كان لكل شىء يفعله طعمـا كريها منفرا . . كدت أسـأله . . «كيف تنجح دائمًا فى تحويل أشياء الحياة الجميلة . . إلى أشياء منفرة » ؟!

لكن صوتى انفجر وأنا أدفع بكرشه بعيداً عن صدرى :

أرجوك أخرج . . ولا تسمح لنفسك أبدا بدخول غرفتى دون استئذان !

انقلب وجـهـه إلى وجـه مـصـاص دمـاء لـه نابان طويلان سامان . . وصرخ ؛

- ماذا تعتقدين فى نفسك . . نجمة مشهورة ؟!

أنا الذى صنعتك . . وأنا الذى سأدفنك !

جن جنونى فصرخت بأعلى مما صرخ :

- أنا الذى صنعت نفسى بنفسى .. موهبتى التى خلقتنى .. من عرقى تنتفخ جيوبك .. وتزداد الدهون تحت جلدك .. كفاك ما قبضته من صوتى .. أما جسمى فلن أسمح لك أن تمسه ..

وأكملت وأنا أدس خاتمه الماسى (رشوته) داخل جيبه .. وأقول وابتسامة تحدى تكسو شفتاى :

هذا القوام خارج عقد الاحتكار .. لأنه لا يقدر بمال !



جسدى ..

ذلك المارد المصنوع باتقان .. سبب كل شقائى وتعاستى ..

أجبت يوما مخلصة على سؤال صحفى بمجلة مشهورة .. «هل الجمال نعمة أم نقمة ؟» بقولى .. «إنه نقمة عندما لا يكون هدف صاحبته أن تستغله كتجارة رابحة .. وعندما تتعفف عن المساومة به .. وتأبى أن تصنع منه حديقة مشاعة للجميع » ! .

تذكرت بألم شديد جميع الرجال الذين مروا بحياتى وكان النزاع بينهم وبين جسدى .. سببا فى تحطيم علاقتى بهم .

تذكرت زوجى وانهياره أمام هذا الكيان المشحون بالكهرباء.. وعجزه عن إضاءة شمعة واحدة فيه .. ثم تحوله إلى مصاص دماء يأخذ ولا يعطى .

جسدى .. هو منطقة النزاع المليئة بالألغام التى دارت حولها المعارك بينى وبين الشاب الغجرى تبارزنا عليه .. وخسر كل منا المعركة التى حارب من أجلها ..

فى مهنتى .. تعارف أربابها على أن يكون «الجسد» هو جواز مرور صاحبته إلى دنيا النجومية والأضواء ... حتى لو كانت موهبتها فى حنجرتها وليست فى استدارة قوامها .

وأصبح عبئى الأكبر .. ليس فى إرهاق بروفات الغناء .. ولكن فى تشكيل وتلوين حرف «لا» .. بكل الطرق .. وبجميع اللغات .

وفى يوم .. ككل الأيام .. اعتذرت بكلمة «لا» للملحن الذى قضى معى ساعات طوال يحفظنى ونجرب معا اللحن الجديد .. فعلق على رفضى باحتجاج لا أخلاقى ساخر :

- إذن صحيح ما يرددونه عنك بأنك حكر خاص لمستودع البنكنوت .. المنتج !!

فلما قرفت من كلامه . . واستخسرت فيه الرد . . أكمل فى وقاحة :

- ولكن أنا أيضًا الملحن ولى عليك حق . . يجب أن يكون لى من الحلو نصيب !

وكان ردى بسيطًا ومختصراً . . ظهـر فى صورة بصقة كبيرة غطت ملامح وجهه الخشن . . وبالطبع قطعنا اللحن وذهب الفن ضحية .

جسدى . .

لم يحترمه إلا أنت . . لم يفهمه إلا أنت . . لم يجد العزف على أوتاره الصعـبة غيرك أنت . . لم يكتشـف نفسه إلا بك . . وهو يرفض أن يكون إلا لك . . لأنه لا يتحقق بغيرك . . والآن بعد أن سافرت. . قل لى . . ماذا أفعل بعد أن تركتنى ومضيت!



مللت . . مللت . . كل شىء . . كل الناس . . الشهرة . . الأضواء . . مللت . .

النجومية . . عدسـات التصوير . . الشائعات . . مللت . .

المنتج . . الملحن . . الغجرى . . مللت . . السفر . . الهجر . . البعاد . . الانتظار . . مللت .

لحظات مجنونة . . شطحات متهورة . . تنسينى . . تلهينى . . تعمينى . . عن الزيف . . الزيف . .

أنت ؟ من أنت ؟ لا يهم . . أنا الآن عمياء . . لا أميز . . لا أعقل مجنونة . . مجنونة . . الغجرية بداخلى تنتفض . . تثور . . تتمرد . . على العقم . . والصدأ . . والتكرار والزيف .

شيطان مجنون شره ينتفض من وثبته . . يلتهم ويلتهم حتى نفسه .

من أنت ؟ تعال . . أرنى نفسك . . هل تبعنى مغامرة مجنونة . . لحظات متهورة . . بعنى . . هيا بعنى . . الغجرية تصرخ . . تلح . . تتوسل . . هيا بعنى . . النسيان . . ماذا تنتظر . . الهروب . . الشيطان يلتهمنى . . يحرقنى . . يريد أن ينسى . . أنه يبدل الزيف بزيف أبشع !

قل لى أحبك . . هيا قلها . . سأصدقك وكلى يقين أنك تكذب .

سأقولها لك . . أحبك . . أحبك . . ستصدقنى وكلك ثقة أنى أكـذب . . أكبـر كذبة . . أقـذر كـذبة . . هيا بنا . . هيـا نكذب . . مثل العـالم . . مثل الدنيا . . مثل المؤتمرات الضـخمة السياسية .

لنرقص مـعا فى كهـف النفاق . ونتـبادل القبـلات فى بنك تبادل المنافع الشخصـية . . هنا نلعب . . بالحب . . بالمشاعر . . بالوعود . . بالكلمـات . . هيا ننسى أننا ندهن كل صبـاح وجه الزيف الأسود

بمسحـوق أبيض . . سريع التبـخـر . . سـريع الذوبان . . لننسى . . لننسى أنا نبدل قناع الزيف بزيف أقبح . !



٣

« كان يسكن هنا . . والآن غير عنوانه » !!

ذبحتنى كلماتها . . أملى الأخير كيف توصده فى وجهى . . هكذا . . بكل بساطة . . بكل سهولة . . كأنها لا ترى السكين . . والعرق النافر المذبوح . . والدم الأزرق السائل على رقبتى . . كأنها لا تعى أنها قاتلة . . لو بغير عمد . . وأنها فى هذه اللحظة قد سلت سكينا فى وجهى . . وطعنتنى . . فى عنقى . . فى قلبى . . فى حلمى !

هتفت . . وأنا أمنع الباب من الانسداد . . كأنى أمنع دمى من أن يصفى . . :

– سيدتى . . لا . . أرجوك . . قطعت ألف ميل . . حتى أصل إلى هنا .

أرجوك دلينى عليه . . أين أجده . . الأمر خطير جداً !!

لفـتنى بنظرة فـيهـا مـرهم مـخدر .. فـيـها شـاش وقطن وبلاستـر.. ضمـتهـم فوق الجـرح .. أوقفت النزيف المتـدفـق مؤقتا .. همست :

- آنستـى .. يؤسفنى حقـا .. لو كنت أعرف مـا بخلت عليك .. لكنها الدنيا .. دائمًا تتغير !

احتقن صوتى :

- لكننى لم أتغير.. وهو .. أيضًا لم يتغير .. الطريق.. موحش .. طويل .. بارد .. مـخيف .. الطريق .. وأنا .. والليل .. وحدى غريبة .. كئيبة .. فى البلد الغريب .

ضيعتك ..

يا لغبائى ..

كيف ضيعتك ؟!

ماذا فعلت بك .. بنفسى .. ؟ أين أجدك ..؟

كيف أجدك ..؟ وأنا مثل نملة وسط ناطحات سحاب تغطى السماء .. تسحقنى تحت تروس عـجلاتها المسرعة فى إهمال .. كأنى حـشرة لا قيمـة لها .. كأنى لست مـجروحة مـصابة فى

جريمة قتل - القاتل فيها مجهول . . والقتيل ملقى فى الطريق العام . . وسط الليل والبرد والمطر . . تعبر عليه الأقدام بلا اهتمام . . كأنهم لا يدهسون فى مستنقع دم . . ولا يرون الصدر المشقوق . وقد خرج منه قلب مطعون . . وقع على الطريق . . فوق الأسفلت المغسول بالمطر والدم . . أيها السادة المسرعون الغرباء . . رفقا إنه قلبى . . الذى ينزف الآن تحت الأقدام .

أحبك . . أحبك . . يا بعيد . . يا تائها . . يا غريقا . . كيف أوصل لك صوتى ؟ أفتقدك يا مسافرا كيف ضيعتك ؟ .

أيها البحار . . الجوال . . المغامر . . عد إلى المرفأ . . فأنت أكثر من يعرف . . إنك وحدك . . المسافر فى دمى !



نيويورك . . نيويورك .

كوابيس . . كوابيس . .

أمطار . . سيول . . طوفان . . غرق . . ضياع .

معدة المحيط تنفجر . . تطير الأسماك . . تسقط على الشط . . بلا زعانف . . ولا خياشيم . . ولا عيون . . ماتت الأسماك . . سقطت الطيور . . نسفت الأشجار .

هلال القمـر مذبوح . . يقطر ذيله دما أسـود . . تنقط عيناه دمعا أزرق. قرص الشمس يغلى غيظا . . يزداد احمرار واكتظاظا.

حذار . . حـذار . . الشمس تغلى . . غيظا . . غضـبا . . ستنفجر . . الشمس . . وتحرق . . وتزلزل وتهلك .

كوابيس . نيويورك

نيويورك كوابيس

أحمـر . . لهبا . . نارا . . الشمس الأرض . . تحـترق . . نارا !

❁ ❁ ❁

فى قلب حـديقة نيـويركيـة جلست منهكة . . محـبطة . . كطائرة خرقت مدارها لتتجـه نحو الهدف . . فوجدت أن الهدف قد غير مداره وتحول إلى سراب فضائى يومض . . ويختفى . .

وحـدى . . فى الحديقـة . . قرب المسـاء . . احتـرم الناس حزنى . . لـم يقتحـم أحد صومـعتى . . ولو بنظـرة تساؤل أو فضول . .

شكرتهم بنظرة ملؤها امتنان .

فى وطنى . . لا أستطيع أن أستمتع بخلوة شرعية مع ذاتى .

هناك دائمًا ألف عين . . وألف أذن . . وألف شفاه . . تتلصص . . تثرثر . . تسجل . تصور . . كل خلجاتى .

النجومية . . سلبتنى أروع ما فى تكوينى . . تلقائيتى .

قهرًا . . حولتنى إلى ممثلة . . دمية . . تتحرك فى حدود الدور المرسوم بإتقان داخل إطار البلاتوه المعد مسبقا بمقاييس محددة.

النجومية . . تتصارع لتسلبنى أروع ما أمتلك . . شيطانة غجرية منطلقة كالطوفان . . تجرف فى طريق تدفقها . . السدود والجسور والقلاع الراسخة منذ ألف عام . . لتفسح الطريق أمام الطبيعة العذراء البكر . . لا شىء يجب أن يحد من جريان النهر. السدود الصناعية. . الغجرية تحطمها. . ليجرى النهر . . ليسرى . . فى إنسيابية . .

الغجرية بداخلى . . رغم تصارع التيارات القاسية . . لم تزل تحيا . . تتنفس . . تنبض . . تثور . . تتدفق . . أحس بها ترقص . . تغنى - تحزن . . تدمع . .

الغجرية تعيش .

وأنا . . أنا أيضًا أعيش !!

❁ ❁ ❁

«الفن قضية»

صوتك المتحمس الثائر العطوف . . يخترق كصاروخ مدار كوكبى المنعزل . .

«موهبتك أصيلة . . سيأتى اليوم الذى تصبحين فيه نجمة كبيرة . .

فلا تنسيك رغللة الأضواء . . أن الفن قضية» .

تدمع عيونى . . أحدثك من خلال جهاز اللاسلكى المثبت فى طرفى كوكبى . .

«حبيبى لم أنس . . لكن وحدى لا أستطيع . . التيارات المتصارعة أقوى منى . . كل تيار يريد أن يسحبنى فى اتجاه . . يريد أن يمزقنى ويلتهمنى ويتقاسمنى إلى أن أصبح فتاتا . . وأنا أصارع لأصمد . . بشراسة أتشبث بذكراك . . بكلماتك . . أقول لنفسى . . ولو كنا فى هذا العالم أثنين . . يسبحان ضد

التيار . . يصارعان الطوفـان . . فهذا يكفى . . لأننا ونحن نسير عكس الطريق . . نسـتطيع أن نصـحـب معـنا المزيـد . . نصنـع سفينـة نوح . . ننجو ومن معنا من الطوفان .

لكنى وحـدى . . وحـدى . . وأنت بعـيـد . . وصـوتك يبهت . . وكلماتى وكلماتك معبـد . . تزلزل أعمدته الفيضانات المسعورة . . وأنا أخاف الانهيار . . حبـيبى أنقذنى فأنا خائفة . . خائفة . . من الانهيار !!

❁ ❁ ❁

هاللو مستر . . أعطيك دولارا . . أعطيك دينارا . . لو قلت لى لماذا الدنيـا تأخذ منا بلا رحمـة ؟ علمتنى قـواعد اللعـبة . . أعطيك دولارا . . أعطيك ديـنارا . . لو قلت لى لماذا تأخـذ منا الدنيا بلا رحمة ؟

هيا مستر علمنى . . فن الشطارة . . والسحر . . والفهلوة .

علمنى كيف أضـحك على الدنيا . . كيف أسبـقها وأخطف منها الشيكولاته . .

علمنى أن أقبض عن كل بسـمة خداعة كنزا وكـيف أضحك

من طرف أسنانى . . ومتى أنشب أظافرى فى ظهر زمانى . .

أخطف . أهرب . أجـرى . أسبق . خـذ خذ . . اصـرف اصـرف . . اضـحـك اضـحـك . . الـعب اضـحـك . . خـذ دولارا . . خذ دينارا لكن علمنى . . فهمنى . . لماذا الدنيا تأخذ منا بلا رحمة ؟

أفـهم مسـتر . . أريد أن أفـهم لماذا نركـب الأرجـوحـة . . تلعـب بنا . . تـدوخنا . . تسـخـر منا . . نـدور فـى فـراغ . . نلف . . ندور . . ندوخ ونحن ندور من فراغ لفراغ .

فراغ . . فراغ . . !!



٤

فى شقـتى المصرية وقفت أتحـسس كل شىء . . فراشى . . وسادتى . . أشيائى الصغـرى المنسقة فى ذوق وبساطة . . أتشمم رائحتها . . أعيد استساغة ملمسها .

كل ما فى شقتى الأنيـقة فى بساطة له رائحة تراب بلدى . . له لون سمـاء وشمس ورمـال صـحـرائى . . أحبك . . أحبك يا أرضـى . . فـى اسـفارى الطـويلة افتـقدك . . اعـرف مقـدار قدرك . . أغفـر لك ما سببته لـى من أحزان . . كل ما فى بلدتى وشقتى يسألنى عنك . . أين أنت ؟ . . وكيف سافرت بحثا عنك ورجعت بدونك ؟ كيف !

خيبة أمل . . خيبة أمل مجـحفة يا حبيبى . . كيف خذلتنى أمام أشيائى الصغيرة . . ونفسى ؟؟

كيف اختـفيت هكذا . . كأنك صدفة فـضية وسط هرم من الرمال . . ثلاثة أشهر كاملة ولا كلمة . . ولا خطاب ؟

نسيتنى ؟ . . أحببت غيرى . . تزوجت . . غيرت أسمك . . بدلت جلدك . أجريت عملية غـسيل مخ . استأصلت قلبك . . استبـدلته بقلب آخر إلكترونى . . أصـبت فى حادث . . دخلت المستشفى . . ماذا جرى ؟!

يا إلهى ساعـدنى . . صبرنى . . طمـئنى . . لم أعد أطمع فيما هو أكثر . . مجرد أن أطمئن عليك .

دق جرس الهاتف . . سحبته بلهفة كأنه سينبئنى عن أخبارك :

- آلو . . أينَ كنت . . اسبوعًا كامـلاً وأنا انفض الدنيا بحثا عنك ؟

عرفته من صوته الغليظ الذى يخنق دوما أحلامى . .

قلت بصوت متهدج محبط :

- كنتَ مسافرة .

قال بانزعاج حقيقى كأن حافظته سرقت :

- كنت مسافرة ؟ أين ؟

بسخرية قلت :

- مسافرة في داخلى .

جاء صوته غبيا وهو يعلق :

- بتهزرى حضرتك ؟ أسبوع كامل والبروفات معطلة .. أين كنت ؟!

بلا مبالاة قلت :

- ابحث عن نفسك .

بنفاذ صبر قال :

- إذن أحضريها وتعالى .. فورًا !

ولم أرد عليه .. فقط أعدت السماعة إلى حضنها .. وعدت إلى الفراش ..

حاولت أن أنام .. كنت مرهقة الذهن .. ولم أكد أغفو حتى عادت الكوابيس تهاجمنى .. أصوات سيارات إسعاف .. صفارات إنذار .. سيارات حريق .. بوليس .. مستشفى .. غرفة عمليات .. أطباء مكممون . بنج ومقص . صدر ينشق . دم أمعاء ورئتين وقلب .. صوت رصاص .. دوى رصاص .. دم .. إسعاف .. عمليات بنج ..

وأصحو من الإغفاءة .. أقفز من فراشى كأنه فراش من جمر .. أهرع إلى المطبخ .. أفتح الثلاجة .. أسحب زجاجة ماء مثلجة .. أشربها كلها .. جرعة واحدة .. أسقط على البلاط .. بجوار الثلاجة .. وإلى حضنى أضم زجاجة الماء .. اشعر بخوف قاتل .. برعب وهواجس .. وأشباح تتحرك أمامى.. أود لو أصرخ .. أتمنى لو أبكى .. لكن إحساس الرعب يخرس صوتى .. يحبس دموعى بسلاسل حديدية .. أزحف بجسمى إلى التليفون .. أرفع سماعته .. تدور وجوه الناس أشباحًا حول قرص الأرقام .. من أطلب ؟ .. بمن اتصل. لينقذنى ويحمينى .. من الهواجس .. والأشباح وطلقات الرصاص .

تتلاشى الوجوه الواحد تلو الآخر .. يفتر حماسى .. يحتضر .. لا أحد يستطيع أن ينقذنى من وحشتى .. أحد لن يقدر عمق حيرتى .. معنى عذابى .. وقسوة آلامى .. كلهم يحبون النجمة .. يسعون وراءها .. ينافقونها .. ولا واحد مستعد أن يخطو خطوة واحدة من أجل الإنسانة المعذبة . كلهم مرتزقة .. مدعون ... مزيفون .. وأنا أكرههم .. وأكره ضعفى وحاجتى إليهم .. أنا أكره نفسى !

❁ ❁ ❁

وهذا صباح مخيف بلا أمل فى رؤيتك . .

ارتديت مـلابـسى على عـجل . . كنـت أريد أن أهرب من الجدران والأفـكار . . قررت اللجـوء والاحتـماء بالاستـوديو . . المكان الوحيد الذى أشعر أنه يضمنى بحب وحنو .

«الحياة لا تعطينا بإسراف . .

إلا لتأخذ منا بإسراف » .

كـان هذا مطلع أغنيـتى الجديدة . . شـدوتهـا بكل ذرة من إحساسى ووجدانى . . لا أدرى مـاذا كنت سأفعل بنفسى . . لو لم يكن قـد وهبنى الله مقـدرة إخـراج طاقات القلق والتـوتر من داخل نفسى فـى صورة ألحان وكلمـات مزلزلة . . وكـأنه أشفق على بنيانى الضعيف من تلك الشـحنة من العواطف والانفعالات الطاغية .

سجلت الأغنية أمام التليفزيون باتقان منقطع النظير . . كانت عيناى تلمعان بدموع حقيقـية . . وجسمى ينتفض مع إيقاع دقات الطبول . . وشعـرى يتماوج ويطير فى الهواء . . وسـاقاى تدقان الأرض بقوة . . وذراعاى تمتدان إلى الفضاء فى محاولة للإمساك

بشيء مستحيل . . وصوتى يعلو ويصدح بمزيج من اللوعة والشجن :

«لماذا الدنيا . . تأخذ منا بلا رحمة !!»



بعد التسجيل . . لم يتمالك المخرج نفسه وقام يقبلنى وسط حفاوة العاملين . . واقترب المنتج منى وقدم لى شيكا على بياض لإمضاء عقد احتكار أفلام . . وتسجيلات . . كاسيت . . وفيديو . . فالأغنية ستكتسح الموسم الجديد بلا منافسة .

وذهل الجميع وهم يرونى أتجاهل كل التهانى والعروض المغرية . . وأندفع خارج الأستديو . . بعيون تتزاحم فيها الدموع .

خرجت إلى الطريق بإحساس عارم بالتمزق والضياع . . فكرت أن أبحث عن الشاب الغجرى . . كنت أشعر بحاجة ملحة للقائه . . فهو أنسب من يستطيع أن يساندنى فى هذه المحنة . . مهما اختلفنا فبيننا عنصر أصيل مشترك . . ربما نفس الانتماء إلى مملكة الغجر . . نفس العشق المشترك للبساطة والتلقائية . . كان الوحيد الذى لم ينافقنى بكلمة . . والذى

اعترف بحقيقة نواياه بلا مـخادعة . . كان الوحيد الذى لم يبحث عنى بعد شهرتى ليأخذ له مكانا تحت الأضواء إلى جوارى .

بحثت عنه لأنى كنت ظامئة لشخص واحد غير مدع . .

قوى بنفسه . . معتد بها . . لا تغريه الألقاب . . ولا تشتريه رائحة المال . . إنسان يسبح ضد التيار . . يتحدى الرصاص .

دخلت إلى المقهى حيث تلاقينا أول مرة . . كنت قد بدلت ثيابى وارتديت كالمرة الأولى ثياب الغجرية . . وعلى عينى وضعت نظارة كبيرة شمسية . . تتخفى وراءها النجمة . . وطفت بين الطاولات والمقاعد ابحث عن غجرى يرتدى ثياب رعاة البقر . . عبثا لم اجده . . سألت الساقى عنه . . وصفته له . . قلت إن الأمر هام وخطير . .

بسهولة استطاع أن يتعرف عليه . . فغرابة شكله المستمدة من غرابة روحه تجعل من السهل جداً التعرف عليه . . اعتذر الساقى بأنه لم يره منذ أكثر من شهر ! .

مرة أخرى عدت من رحلة البحث خائبة . . صعدت إلى شقتى وكلى أسى . . كنت اريد ان اتحدث إلى الغجرى عن

حبيــبى التائه . . أن أكمل له فصــول قصتى معــه . . أخبره عن هواجسى وخوفى علــيه . . اعترف له بمرارة إنى ضيــعته . . ربما كان فى استطاعته أن يهدئ نار حيرتى وندمى .

عند شقــتى الساكنة فى عزلة وهدوء . . وضعت المفــتاح فى الباب . . ولكنى لــم أدره . . جبنت . . تذكرت صــورة الجدران الباردة . . التى تزحف كــأشباح بيضــاء تخنق أنفاسى . . لا . . لن احتمل الصمت والوحدة . . لا لن أستطيع . . ليس الليلة .

وطويت السلم عائدة ركــضا . . اندفعت داخل الســيارة . . أدرت الموتور . . ضغطت بتهور على البنزين . . وانطلقت بجنون نحو اللاهدف !!

❁ ❁ ❁

وهذا صباح جديد مرهق بلا صحبتك .

استيــقظت على صوت صفارة التليــفون ترن بجوار اذنى . . رفعت السماعة فى كسل والنوم لا يزال ينازعنى . . كان الصوت أليفا لكن بعيدا . . قلت بصوت متثائب :

- من يتكلم ؟

قال بدلال ساذج :

- نسيتنى يا شقية ؟

بدأ النعاس يفر من جفونى .. سألت :

- كم الساعة ؟

قال وهو يزيد من دلاله الثقيل :

- لم تتغيرى .. تنامين حتى الظهر ايتها الكسولة !

أصابتنى كلماته بصدمة كهربائية أفاقت عقلى .. بدأت اتعرف على صوته من خلال لهجة قديمة طالما أزعجتنى .. بتحفز قلت وأنا اغالط سمعى :

- مين ؟!

قال وقد بدأ صوته يستعيد تلويه الثعبانى :

- ماذا أنت فاعله بدونى ؟ أليس من الأفضل أن تعودى ؟

وكأن الثعبان لدغنى .. صرخت :

- أنت ؟ ماذا تريد منى ؟ ألم ننتهى ؟

قال باستعطاف :

- انتهينا كيف ؟ الست أول بختك . . وأنت أول حبى . . لقد طلقت زوجتى الجديدة . . ولا مانع عندى أن نعود . . شرط أن تتركى عملك !!

ولم أشعر إلا والدم يفجر فى عروق رأسى بركانًا من السخط والغضب . . وخرج صوتى يفرقع قنابل مدوية . . لا أذكر ماذا قلت بالضبط . . ولا كيف قلت ما قلته . . كل ما أذكره أن سدًا صدئًا قديمًا انفتحت أبوابه على مصاريعها بداخلى . . وأن تيارا مسعورًا تدفق من فمى . . ولم أشعر إلا وأنا أخبط السماعة على رأسها . . ويبرد البركان فى صدرى . .

ثم اهدأ . . وارتاح . . وأغرق فى نوبة من الضحك الهستيرى !



وتنهمر الدموع من عينى .

رائحة البصل تزكم أنفى . . تحمر لها جفونى . .

لا أذكر آخر مرة دخلت فيها المطبخ لأعد الطعام بيدى . . اليوم مناسبة خاصة . . دعوت تلميذاتى القدامى بالمدرسة على

الغداء . . فوجئت بهن آخر مرة وقد كبرن وأصبحن فى نضارة حلوى غزل البنات .

دعوتهن وإحساس مزدوج بالفرحة والاضطراب يشملانى . . فعيونهن بكل بريق البراءة فيهن يعيدوننى إلى أحلى أيام عمرى وأقساها فى نفس الوقت . . كنت تواقة لأعيش الماضى عبر براءة ابتساماتهن . . وشغوفة بمعايشة المستقبل من خلال ذكاء وتوهج شعاع عيونهن . .

احب أن العب مع البراعم الشابة . . لعبة الخيال والفراسة . . فمن خلال ملامح وكلمات كل واحدة منهن . . استطيع ان استشف مستقبلها . . وكأنى ساحرة غجرية تكشف فى الكرة البللورية عن تفاصيل المستقبل . كنت اريد ان ابحث فى مرآة عيونهن الصافية التى لم تلوث بالكذب . . عن صورتى الجديدة . . هل تغيرت ؟

هل خربت الشهرة وصراعاتها فى جوهرى . . هل ما زلت كما كنت دائمًا . . خضراء العود . . صافية النفس كبحيرة عذبة . . أم أن البحيرة تلوثت . . واصفر العود وقارب على الذبول ؟!!

«اريد ان امارس معك نوعا من هتك العرض . . ان امزق بكارة نفسك . . لن تكونى فنانة حقيقية إلا إذا فضضت عذرية أفعالك . . وتعايشت مع وحوش الغابة بقانونهم . .

لن تضعى قوانين جديدة . . بكارتك لن تستأنس الوحوش . . لكنك لو استوحشت. . ستفرضين قانونك » !!

وتسقط المغرفة من يدى على الأرض .

أشعر ببلبلة فى أفكارى . . هل كان المنتج محقا فى كلماته ؟! هل صحيح أن نفسى أكثر براءة مما يحتمل قانون الغاب؟

من منا الصحيح . . ومن الفاسد . . أين الصواب والخطأ فى حياتنا . . كل المعايير المتعارف عليها منذ عشرات القرون اختلت . . واختلطت وانعكست . . كأن القيامة قد قامت . . وانقلب باطن الأرض إلى سطحها . . واتقبر السطح فى الباطن !!

كأن الأموات بعثوا من قبورهم ليسكنوا الدنيا بهياكلهم العظمية. . بينما تركوا الأحياء الأقوياء يدفنون أحياء داخل القبور .

وأتذكر اللعبة الخالدة فى الصراع بين القرصان والنبيل .. لم تتغير .. كل ما فى الأمر أنها لبست ثوبا أكثر عصرية .

وأهرب من فوضى أفكارى إلى جهاز التليفزيون افتحه واجلس القرفصاء غارقة فى أوهامى .

فجأة ظهر امامى صورة وجه اليف .. لا اذكر بالتحديد لمن ينتمى .. كأنى رأيته من قبل .. فى مكان ما .. فى زمان ما .. أين ؟!

ولم اصدق عينى .. بعد طول جهد وتفكير .. وإعادة النظر والتدقيق .. والتقليب فى دفاتر الذاكرة تذكرته .. صرخت فى هلع .. كانت الصدمة اكبر من حدود تحملى .. كأنى رأيت إنسانًا عزيزًا على نفسى .. يقتل فى التو واللحظة برصاصة امام عينى .. وانا امام مشهد القتل العلنى المفضوح .. عاجزة ..

كان الغجرى يحتل وجه الشاشة .. ولولا عينيه اللتين يختلط فيهما العناد بالذكاء لما عرفته .. لم يكن يرتدى كعهده ثياب رعاة البقر .. بل كان يكتف ذراعيه بسترة داكنة ثقيلة .. ويعلق مشنقة حريرية حول عنقه .. وزر قميص ابيض منشى يطبق على حنجرته .. ويكاد يخنق صوته فيبدل من طبقاته ..

يخرجه أكثر حشرجة وخشونة . . وكلماته حتى كلماته كانت لها غرابة مخيفة . . كأنه استعارها من عدو يحتقره ويكرهه . . كان يردد عبارات تباع على الأرصفة بأبخس الأسعار . . عبارات غريبة حتى على شفتيه . . كان صوته يتقطع وكأن سكينا حادا يقطع من نفسه . . وهو يردد كحيوان مذبوح فى قلبه . .

«المعركة . . الانتصار . . سوف . . غداً . . الازدهار . . » !!

وتتداعى لذاكرتى صورته وصوته حينما كان يمزح فى بساطة وسخرية وهو يقول :

«عندى مناسبة لكل شعار . . وشعار لكل مناسبة . . فأيهما تختارين» ؟

ويتردد صدى ضحكته بريئة فى أذنى .

لماذا يا غجرى . . اى ثمن فادح دفعوه لك . . لتبيع صوتك . . لتزيف صورتك . وتقلع ضميرك . كيف يا غجرى . . كيف استطعت . . أى آلام تحملتها ليسلخوا جلدك . ام انك أنت الذدى سلخته بيدك !!

وأفيق على صوت طرقات على الباب . .

أهرع إليــه . . أفـتـحـــه باضطراب . . نظرت الـبنات إلى بفضول . . هتفن بانزعاج :

لونك أصفر قوى يا أبله !

مـررت بأنـاملى علـى خـــدى كـــأنى أتحـســـس لونـى . . وهمست . . «إذن ، فالعود الأخضر أصفر . . خسارة» !!



٥

وهذا صباح حزين بلا أمل فى صحبتك .

إنه يومى الثالث الذى أقضيه طريحة الفراش ، نوع من الوهن والضعف الشامل يشل كل خلاياى ومفاصلى . . لا أكاد أرفع ذراعى من جنبى حتى يسقط مغشيا عليه على الأرض . .

قال الطبيب بطريقة المحترف العملى :

- ليس بك أى مرض عضوى . . أنت مصابة بحالة اكتئاب نفسى حاد . . تناولى هذه المهدئات . . وسافرى لو استطعت .
ثم قرع الباب خلفه وبقيت فى شقتى وحدى . .

ابتسمت بشحوب ، وأنا أمزق روشتة الدواء بوهن فى قبضة يدى . ساخرة من هذا الطبيب الساذج . . الذى لا يدرى أن جسدى حقيبة سفرى . . أينما اتجه فإنه يحمل أحزانه وهمومه

معه . . يفرزها مع حبات العرق الخارجة من مسام جلدى . . ثم يستنشقها ليمرض بها من جديد . .

معذور يا طبيبى فأنت لا تعرف أن مثلى لا يجدى معها علاج . . ولا يؤثر فى حالتها دواء . . فالمسألة كما لا تعرف مسألة وقت عندى فسرعان ما تنتهى الهدنة . . ويأتى دورى فى الاغتيال . . ليسلخوا جلدى . . ويمسخوا وجهى . . ويسرقوا صوتى . . ويبتزوا سكوتى . . كلها مسألة وقت . . فالضحايا بالمئات . . فمتى سيكون دورى ليستأصلوا نبض إحساسى . . ويلقوا بى كجثة كلب أجرب لقيط . . يعيش بجثته . . يتعذب بثقل حملها . . لأنه ميت . . مفروض عليه أن يمارس طقوس الأحياء . . وبعد كل هذا تطلب منى أن أواجه الواقع المرير . . بأقراص مهدئة ورحلة سفر !

قتلوك يا غجرى . . سفكوا روحك . . دون أن تدرى . . تحديتهم . . كشفت بصدقك وتلقائيتك قناع زيفهم . . قلت لهم بسلوكك بلا خطب ولا شعارات أن لا شىء فى الحياة يستحق القتل والخيانة والعراك . . صارحتهم بأن لعبتهم سخيفة وغبية . . وأنه مهما بلغت مكاسبهم المادية فلا شىء يعوض خسائرهم المعنوية .

المعركـة لم تزل مستمـرة . . منذ بدء التاريخ . . فالقـرصان غير ثيـابه . . خلع الربطة السوداء عن عينه العوراء . . استـبدلها بنظارة شمسية . . لا شيء تغير . فالـلعبة الأزلية لم تزل مستمرة بكل تفاصيلها وسرعان ما سيأتى دورى فى القتال . . أعرف إنى ألعب معهم فى الوقت الضائع . . وأن سرعان ما سيسجل أحدنا الهـدف الأخيـر . . لقد صـبروا عـلى طويلا . . ولن يتركـونى أزعجـهم أطول من ذلك . . سفـينة نوع يجب أن تقلع هذه المرة دون ركاب . . فلقد سئموا لعـبة القرصان والنبيل . . حان الوقت لتصبح الأرض كـما أرادوها . . وجه واحد لقرصـان مخيف . . أمثالى يعطلـون كسبـهم للهـدف الأخير . . اللعبـة لا تنتظر . . لا وقت للمـوسـيقـى . . لا معنى لـلغناء . . لا شيء يجب أن يعـوقـهم عن الهـدف . . ولكنى لن أقـتل نفـسى . . لن أسلخ جلدى . . لن أهدى لهم جثتى ليصنعوا منهـا جسرا يعبرون فوقه إلى الهـدف . . لتكن إذن جريمتـهم . . لتغـوص أصابعـهم فى دمى . . لتدينهم بصمات دمائى . . ليطلب الثأر أولادى . . لتظل المعركـة ساخنة . . ولا يجف دم النـبلاء هدر . . ليقـتلونى . . بأيديهم .

لكن أبدًا لن أسلم لهم يدى !

وتدب الحياة فى عروقى .. وينشط عقلى .. وتنتعش روحى .. أقفز من الفراش فى نشاط وحيوية .. كأنى لم أكن على أعتاب الانهيار منذ لحظات .

أدخل إلى الحمام .. اتخلص من ثيابى .. أنعش مسام جلدى يسيل من الماء البارد .. التف كقرطاس ورق داخل بشكير طويل .. أترك نقط المياه تسقط من أطراف شعرى لتبلل عنقى .. أطلب من الخادمة إفطاراً كاملاً . أشعر بجوع من لم يستصغ طعم الطعام منذ شهر مضى .. اجلس على طاولة الإفطار .. امسك الجريدة .. انفضها .. أعبر بعينى فى لا مبالاة بين السطور والعناوين . يتجمد نظرى .. تتوقف اللقمة فى حلقى .. أعيد قراءة العنوان مرات ومرات .. أشعر بدوار .. أجرى بين السطور .. ألتهم الكلمات وأنا اقرأ الخبر .. شنق الفجرى نفسه برباط عنقه .. ابتلعت دمعى .. تركت الجريدة تسقط من يدى .. تنفست الصعداء .. شعرت براحة نفسية غريبة .. لم يهزموا الغجرى .. حاربوه بسلاحهم .. فرد عليهم بسلاحه الأخيرة المتبقى له .. قتلوه معنويا .. فقتل نفسه ماديًا .. لتصبح جريمتهم علنية .. لتكون فضيحتهم ملء العيون .. مت يا غجرى كما عشت عنيداً صادقًا .. مزقت قناع القرصان .. ضيعت عليهم الهدف .. ستقلع سفينة نوح .. فشكراً لك !

٦

سألنى صحفى بأشهر مجلة فنية :

- هل تدخلين كل التجارب التى تصادفك فى الحياة ؟

قلت بلا ادعاء :

- التجارب الشخصية جزء من حـصيلة الإنسان الثقافية ولو كان بمقدورى لما ترددت فى خوضها جميعها .

قال بجرأة أكبر :

- أنا أتحدث عن التجارب العاطفية !

فاجـأتنى جرأته وكـان بإمكانى أن أرفض الرد لكنى مع هذا قررت الإجابة . . وبكل صراحة . . قلت :

- أنا أعـتقـد أن الإنسان . . كل إنسـان . . من الممكن أن

يتعاطف مع أكثر من شخص فى نفس الوقت . . لكن الاختلاف يكون فى درجة ولون هذا التعـاطف . . فأنا من الممكن أن أحب خمسة رجال فى ذات الوقت . . أحب فى الأول صدقه . . وفى الثـانى إحسـاسه . . وفى الثـالث عقله . . ولكن فى النهـاية لا أسـتطيع أن أمـارس هذا الحب إلا مع شـخص واحـد فـقط . . ولسنوات طويلـة . . وهذا الواحـد لابد وأن يكون جـامـعـا فى شخصه بين قوة العقل ورقة الإحساس . . حتى يستطيع أن يشغل فراغات عقلى وقلبى معا . .

أشعل الصحفى المخضرم سيجارة سحب منها نفسا عميقا . . ومن وراء الدخان الذى غيم على شفتيه . . لمحت فى عينيه بريق الفوز بأخطر حديث صحفى تنشره مجلته الفنية لهذا العام . .

قال مستغلا نوبة كرم صراحتى:

- وهل تؤمنين بالزواج ؟

قلت وأنا أرفع خصلات شعرى القاتمة المتناثرة على جبينى :

- أنا أؤمن أساسًـا بالحب . . والزواج ليس أكـثر من إطار اجتماعى لتشريع الحب وتنظيمه .

وأصمت وأنا أسرح بخيالى بعيداً وأغرق فى نوبة تأمل . . ثم أبتسم فى سخرية وأنا أسحب نفسا من سيجارة وأقول :

- الغريب أن الشائع فى مجتمعنا هو العكس . . لقد أصبح شكل الزواج كإطار اجتماعى هو الأساس والحب . . والحب كإحساس إنسانى هو الهامش !!

وأنفس شيء من المرارة وأكمل حديثى وأنا انظر للصحفى :

- لقد رفضت هذا الأسلوب فى حياتى . . عندما كان مضمون زواجى خاليًا من الحب . . خلعت الإطار واستقليت !

قال الصحفى بانفعال وانبهار من يتصور أنه وقع على كنز :

- هل أنت قوية ؟

بثقة قلت :

- نعم ومنبع قوتى داخلى .

قال بفضولى حقيقى :

- وما سر هذه القوة الداخلية ؟

قلت ببساطة طفل ذكى :

- لأنى أقول لا . . أقولها لكل الإغراءات المادية التى تبهر الناس وتسلبهم عقولهم وإرادتهم ويصبحون عبيداً لها . . أقول لا . . لكل ما لا يتفق وأسلوبى العقلى والعاطفى فى الحياة !

عند هذا هب الصحفى اللامع واقفا . . رفع جهاز تسجيله . . وبدا متلهفا متعجلا . . والبريق اللامع بفوز الانتصار بصيد ثمين يضوى فى عينيه . .

- يجب أن أسرع إلى المجلة .. لألحق العدد القادم تركته يمضى حتى فتح الباب وقبل أن يخرج منه أسرعت بسؤاله :

- أستاذ «متى كانت آخر مرة قلت فيها لا » ؟!

لدغة سؤالى لدغة حادة واجعة ارتعش لها جهاز التسجيل المعلق فى طرف يده . . ثم قال بوجه شحب فجأة كأنى عرضت أمامه مرآة عليها وجه شبح يخشاه :

- منذ زمن بعيد . . وكان الثمن غاليًا !!



وهذا مساء يداعبه طيف ذكراك .

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل . . حينما دق جرس

الباب على غير انتظار . . أرهفت السمع وأنا جالسة أستمع إلى أنغام موسيقى خفيفة . . وأقرأ فى كتاب بجوار أباجورة خافتة الضوء غارقة فى بطن مقعد مريح . .

عاد الجرس يدق من جديد . . هذه المرة فى إلحاح واستعجال . .

شعرت بنوع من الاضطراب الخائف . . من الذى سيزورنى فى هذا الوقت المتأخر ؟ . . أنا التى لم تعتد استقبال الزوار بغير مواعيد . .

اقتربت فى همس خافت لأتبين الطارق من ثقب الباب . . أفزعتنى أصوات الدقات التى تحولت إلى طرقات مرتفعة بالأيدى . . لابد أنه زائر مجنون . . اقتربت بعينى من العين السحرية . . وجدته يسد وجه الباب بجسمه الضخم . . هذا المنتج اللعين ماذا يريد فى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ ولماذا لم يتصل بى هاتفيا قبل أن يحضر ؟ ثم ما دعوى كل هذا الخبط والاستعجال ؟

بسرعة فتحت الباب . . اقتحمه المنتج بلا استئذان ولا اعتذار . . وقبل أن يجلس اتجه مباشرة إلى المطبخ . . فتح

الثلاجة . . بوقاحة لا متناهية فتح جميع الأطعمة . . صنع لنفسه سندويتشا ضخـما وفتح زجاجة مياه غازية مـثلجة . . وأنا واقفة أتفرج والاستفزاز يكاد يفجر عصبيتى .

قال وهو يشد مقعدًا بيد . . ويجذبنى باليد الأخرى ليجلسنى على المقعد المجاور وأنا أتفرج عليه مذهولة وأزيد من الضغط على أعصابى . . إلى حين اكـتشف حقيقة مـا يرمى إليه . . قال وهو يلتهم لقمة كبيرة بأسنانه :

- جئت أخـبرك عن التـغيـرات الجديدة فى السـيناريو . . ولأعرض عليك كلمات الأغنية التى سيختم بها الفيلم . .

قلت وغضبى بدأ ينفث دخانه . .

- أى تغيـيرات . . وأى أغنية . . لقـد مضيت عـقدا على سيناريو مـحدد . . وبأغنيـة محددة . . وأنا على غـير استـعداد لتقبل أى تغيير . .

قال وكأنه لا يعبأ بكلماتى :

- البطلة سوف تتزوج الطبيب فى نهاية الفيلم . . !

قلت والغضب يزلزلنى :

- كيف ومؤلفة القصة .. وكاتب السيناريو لم يذكرا ذلك فى النص الأصلى .. إن هذا إخلال أساسى بشخصية البطلة .. أنا أرفض هذا التغيير .

قابل ثورتى بفتور وقال وهو عامد إلى تجريحى :

- لماذا ؟ هل لأنك ترفضين الزواج فى حياتك الخاصة ؟!

قلت بتحد :

- لا دخل لك بحياتى الخاصة .. أنا أرفض لأن البطلة لم تلتق بالرجل المناسب فى حياتها بعد .. فالبطلة كما وصفتها الكاتبة .. وكما أعجبت أنا بها .. امرأة عصرية .. ترفض النفاق الاجتماعى .. تعيش حياتها فى وفاق وصدق مع معتقداتها الشخصية .. فكيف بعد كل هذا تريد أن تهدمها وتجعلها تتزوج من رجل لمجرد أنه رغب فيها .. إنها النهاية التقليدية لكل فيلم عربى .. وكل قصة مصرية منذ أكثر من خمسين سنة .. اليوم تغيرت الدنيا .. وأصبح الفن انعكاسًا لوجه الواقع .. وعرضا شجاعا للحقيقة .

قال وهو يجرع المشروب بنهم غير مكترث بكلامى وكأنه قد

اتخذ قرار التغيير النهائى . . وبأن ثورتى واعتراضى مهما تصاعدا لن يغيرا شيئًا من قراره :

- أنا يا أستاذة منتج . . ولا يهمنى أن يكون الفن واقعيا أو حقيقيًا . . أنا تاجر دفعت نقودًا وأريد أن أستردها رابحة . . والجمهور الذى يدفع ثمن التذكرة . . لن يرضيه أن تبقى البطلة . . وهى شابة جميلة وطموح وذكية . . إلى نهاية الفيلم بغير زواج . .

- قلت وأنا أستشط غضبا :

- من الذى سمح لك أن تتكلم باسم الجمهور ؟ . . كيف تفوض نفسك فى أحكام لم يسبق للجمهور وأن أعلن عنها . . أنا مؤمنة تمامًا أن جمهورنا ذكى وحساس . . لا يقبل أن يستهان بعقله . . وأن يستخف بذكائه . . والفن الراقى قضية . . يواجه الواقع الإنسانى . . ويساير التطور البشرى . . حتى لو كان فى هذه الحقائق الواقعية المتطورة ما يصدم الجمهور فى بداية الأمر . . فإنه سرعان ما سيقبل عليها ويحترمها .

قاطعنى بسخرية :

– يا ست هانم هذا الكلام نقرأه فى الكتب . . أما الشباك فله قانون آخر . . ثم مالى أنا والواقعية والتطور ؟ . . لماذا أغامر بمالى ؟ . . وما دخلى إذا كان الفن قضية . . الفن بالنسبة لى سلعة أحقق منها أكبر ربح ممكن . البطلة يجب أن تتزوج البطل لأنه أحبها . . ولأنه من غير المعقول أن تبقى بغير زواج !

قلت وأنا أحسم المناقشة :

– أنت تعلم أنى لم أحترف الفن من أجل شهرة أو مال . . عندما كنت فى العاشرة من عمرى سألنى عمى الثرى . . ماذا تفعلين لو أورثتك كل ثروتى ؟ فقلت بعد تفكير بسيط . . ابنى بها مستشفى لأعالج فيها الفقراء بالمجان . . يومها سخر منى عمى ووصفنى بالسذاجة ومات ولم يورثنى مليما . . عندما كبرت واشتغلت مدرسة موسيقى كنت سعيدة لأنى أربى أجيالا تتذوق الجمال وتسمو بالروحانيات . . وعندما اكتشف موهبتى أحد الملحنين بالإذاعة . . وتبنى مشوارى الفنى . . فرحت واعتبرتها فرصة لا للكسب والشهرة . . وإنما للارتفاع بالذوق العام . . ولنشر الفن الجاد . . والآن ، أنت لن تأتى لتهدم كل ما بنيته طوال هذه السنين . . أنا على غير استعداد للتخلى عن مبادئى . .

لن أخدع جمهورى تحت أى شعار من الشعارات .. إما أن تنفذ السيناريو كما مضت عليه .. وإما أن تبحث لك عن بطلة أخرى ..

عند هذا الحد ولم يحتمل المنتج كلمة أخرى .. قام من مقعده وكرشه الضخم يهتز أمامه .. والشرر ينطلق من عينيه .. وضغط على الكلمات بأسنانه :

- ستكونين السبب فى خراب بيتى وإفلاسى .. قلت لك فى مونت كارلو إنى سأهدمك كما بنيتك .. سأقاضيك وأطالبك بتعويض لن تستطيعى دفعه حتى لو بعت نفسك وأثاث بيتك .. سأجعلك تندمين على غرورك واستعلائك .. سأشهر بك فى المجلات والجرائد .. ستبقين مجمدة بلا عمل لمدة سنتين على الأقل حتى تنتهى مدة احتكارى لأعمالك .. لن تجدى اللقمة لتأكليها .. ستبقين فى الظل حتى ينساكى الجمهور والمنتجون .. ستندمين طول حياتك على صلافتك .. سأجعلك تندمين» !!



ومرة أخرى دخلت المحكمة .

فى هذه المرة مطالبة بتعويض قدره ربع مليون جنيه .. تعويضًا للمنتج عما ألحقته به من أضرار مادية . امتدت المشاحنات بينى وبينه من ساحات المحاكم .. إلى صفحات المجلات والجرائد.. ثم انتقل إلى شاشة التليفزيون .. وتحول الخلاف بيننا إلى قضية فنية واجتماعية ..

وتكرر دخولى إلى ساحات المحاكم .. شهور طويلة وأنا موقوفة عن العمل .. ومواردى المالية أخذت تقل حتى نفذت.. وكان المنتج فى قمة السعادة عندما بلغه نبأ إفلاسى .. وإنى شرعت فى بيع مصاغى .. ووجدها فرصة ذهبية يستغل فيها ظرفى القاسى وجعل أصدقاءه يتدخلون فيما أسموه بالصلح.. وهو ما أسميته أنا بالتنازل والاستسلام العاجز .. وظل المنتج يضغط ويلح فى شبه مطاردة .. وأنا أرفض وأتشبث بإصرار بموقفى .. حتى لم يعد أمامى من اختيار إما أن أرضخ له أو أن أبيع أثاث بيتى .. وأخذت حالتى النفسية فى التدهور والهبوط من قسوة ما لاقيت من ضغوط .. وأنا وحيدة بلا صديق ولا حبيب .

وأخيرًا قررت أن أنقذ نفسى من الانهيار والصراعات ..

قررت فى شجاعة وجرأة أن أعود إلى مدرستى مؤقتا حتى تنتهى الأزمة.. فمهما بلغ حجم خسارتى المادية فإنى على الأقل كسبت نفسى .. وهذا وحده يكفى !! وأشعر بالرضاء عن نفسى .. أستشعر فخر حبيبى بى.. حتى لو كان بعيدًا فإنه يرانى ويسمعنى ويحسنى .. عندما يعود سيفتخر بحبه لى .. وكان هذا عزائى الكبير !

❁ ❁ ❁

زرت قبر الغجرى فى المساء .. ومعى باقة زهور حمراء .. كنت أشعر بحاجة ملحة للحديث لإنسان .. أو جماد .. مر بنفس ظروفى .. عانى من نفس إحساسى ..

قلت أحدث القبر وقد ظهر وجه الغجرى عنيدًا متحديًا على السطح :

- لماذا يا غجرى .. لماذا يرضى الإنسان أن يهبط بمكانه إلى مرتبة الحيوان ؟ لماذا يزيف نفسه يلطخها بالوحل أمن أجل حفنة مال ؟ من أجل مظاهر استهلاكية سريعة الزوال ؟

القرصان يا غجرى .. .

يسرق ينهب ينتهك القيم .. يغير كل يوم ألف وألف قناع.. يخدع الأبرياء ماذا أفعل يا غجرى وأنا وحدى .. والكل مشغول بنفسه .. غارق في ذاته ؟ ماذا أفعل يا غجرى والطوفان يغرق فى كل خطوة أجمل ما فينا من مثاليات ؟ .

وألمح دمعة حزينة فى عيون الغجرى .. أرى شفتيه تنطبقان وتنفرجان .. كأنه يريد أن ينطق بشىء .. أقترب بأذنى من شفتيه .. يلسع جلدى سخونة دمعه .. أرهف السمع بصعوبة بالغة أفك رموز كلماته .. أرددها على نفسى .. أحفظها جيداً .. أرفع وجهى عن القبر وأبتسم فى شحوب .. كأنى وجدت الحل .. كأنى عثرت على الأمل ..!

خرجت من المقابر إلى المدينة ..

المدينة شوارعها مقابر .. أحياؤها أموات ..

طعن خيط الأمل فى نفسى بخنجر مسموم .. قاومته بنبض من يلفظ لحظات الاحتضار .. سحقتنى حيرة الأفكار .. «كيف ومن أين يأتى الخلاص» ؟!

أهيم على وجهى فى الطرقات .. قلبى ينزف دما أسود . حزنا أزرق .

وجهك حبيبى يلمع كشعاع فجر جديد وسط ظلام الضباب المخيف .. صوتك يرعد فى الأفق البعيد .. يردد أنشودة حب كأنها المستحيل :

«لنبدأ بأنفسنا .. لتتكاتف سواعدنا .. نصنع بأكتافنا المتلاصقة سدًا .. يصد تدفق طوفان العفن .. لنعش كما يجدر بنا أن نعيش .. أحرارًا .. كراما . صادقين .. وليغرق فى الطوفان من باع نفسه بالحصى» .

أتنهد .. والليل الطويل يثقل على صدرى .



والإمضاء.. سلوى

استيقظت

على صوت المنبه الذى يطلق رنينه فى تمام السابعة والنصف صباحًا كالمعتاد . شعرت بعدم الرغبة فى مغادرة الفراش . منذ عشر سنوات وأنا أتبع نفس النظام اليومى وكأن الأيام نسخ كربون من أصل واحد لا يتغير .

أستيقظ كل صباح . . أذهب إلى عملى فى مركز البحوث الاجتماعية والجنائية . . بمجرد دخولى ، أسمع نفس العبارة التى لا تكاد تتغير :

«صباح الخير يا دكتوره سلوى»

أنهمك فى أبحاثى . . المتعة الوحيدة فى أيامى . . فأنا أعشق مجال البحوث الاجتماعية . . أهوى تتبع خيط ظاهرة ما حتى أتوصل إلى جذورها . كان أول بحث قمت به عند بداية تعيينى ، عن المفهوم الاجتماعى للأنوثة والذكورة . . وتأثره

بالأساطير الجاهلة ، التى تسبب التخلف الفكرى للمرأة فى الدول النامية .

وقد لقى البحث تقديرًا خاصًا من مدير القسم . . فقام بضمه إلى قائمة الأبحاث المتميزة التى نشرت فى المجلة الاجتماعية الجنائية التابعة للمركز والتى يقتنيها الصفوة من المثقفين المتخصصين .

قمت بعدها بعمل عشرات الأبحاث ، كنت أشعر خلالها بأنى طبيب جراح يقوم بتشريح علة ما ، لا أكاد أبدأ بالأسباب التاريخية والاجتماعية لها ، حتى أغوص فى الأسباب الاقتصادية والسياسية والمعتقدات الشعبية التى أدت إليها . . وبذلك يصبح من اليسير على أن أصف الدواء الواقعى الشامل لشفائها .

ولم تمض غير فترة وجيزة أصبحت بعدها أهم باحثة فى المركز، يوفدوننى إلى المؤتمرات الدولية . . واستقبل وفود الباحثين الأجانب . . أنظم لهم المحاضرات . . اشترك معهم فى أبحاث. . وكان المدير يقدمنى إلى الوفود الأجنبية على أنى أصغر وأذكى باحثة فى المركز . . مع ذلك كنت أختلف معه فى الرأى، فلقد كنت أرى أن الموضوع ليس له علاقة بالذكاء بقدر ما له

علاقـة بالحب . لقد كنت أحب عـملى . . أجد نفسى فـيه . . وهذا كل شىء !

دخلت على أمى غرفة النوم نبهتنى إلى أن الساعة تقترب من الثامنـة . . ذكرتنى بأن أذهب إلى الكوافـير بمجـرد خروجى من المكتب فـاليـوم خطبة ابنة خـالتى . . رجـتنى أن أضع ضـفيـرة صناعية أخفى بها قصر شعرى . . قالت متحسرة :

- إلى متى يا سـلوى ستظلين مسـترجلة ، لا ترتدين غـير القميـص والبنطلون . . تقصين شعرك كـالولد . . تخفين نصف وجهك وراء نظارة طبية . . ولا نقـطة أحمر تلون خديك . . إن كنت لا تكترثين بنا فما ذنب خطيبك ؟

قلت وأنا أبعد الغطاء عن جسدى وأقوم متجهة إلى الحمام :

- اطمئنى ، فعادل يعتقد أن أنوثتى خفية .

سمعـتها تخبط كفا بكف وتـقول كلامًا كثيـراً نصفه شكوى ونصفـه الآخر مواعظ . . وأخـيراً صمـمت أن أرتدى اليوم على الأقل الثوب الوحـيد المنزوى فى ركن دولابى . . أمـا الباقى فلم أسـمعـه ، كنت غـارقة برأسى تحـت سيل الماء . . ولم أشـأ أن أصدمـها بأنى أساسًـا غير قادمـة إلى الحفلة . . فلدى محـاضرة

ألقيـها فى الجامعـة الأمريكية . . ثم إنى أرى فى تلك الحـفلات مضيعة للوقت والمال بالنسبة للطرفين ، الداعى والمدعو معا .

لكنى وفـرت على نفسى كـلاما كـثيـراً كنت سأسـمعـه لو صارحتها بالحقيقة فأمى كغالبية هذا المجتمع ، ترى فى عمل المرأة زهرة تزين بهـا شـعـرها . . تجذب بهـا العـرسـان . . تزيد من مهرها . . أما أن تراه رسالة تستوعـب كل كيانها ، فهذا فى رأيها أمر ضد الأنوثة . . لأنه ينافس الرجال ويطفش العرسان . لذلك فإنى لا أحزن كثـيراً عندما أسمعهم يتهـامسون من وراء ظهرى : إنها فتاة مسترجلة !

قضيت

اليـــوم ، فى جـمع المعـلومـات عن الأطـفـال الأحداث الذين نشأوا فى ظروف أسرية غير سوية أدت إلى انحرافهم وهم فى سن الطفولة والمراهقة المبكرة . . مما اضطرهم للانضـمام إلى عـصابات السرقة والنشل .

حدث مرة أن رأيت فى مؤسسة رعاية الأحداث ، أطفالاً فى الثانية عشرة من عـمرهم . . وآثار حقن المورفين بارزة فى عروق أذرعهم الضعيفة . . وعندما كذبت عينى وسألت أحدهم عن سر هذه البـقـع الزرقـاء فى ذراعـه . . أجـاب بتـبـجح واضح أنه «الماكس» . وبما أنها كانت المرة الأولى التى أسـمع فيها هذا اللفظ الغريب سألته بدهشة : ومـا هو الماكس ؟ ضحك بسخرية وكأنى أنا الطفلة وهو الرجل الخبير : إنه الأفيون يا أستاذة !

لحظتها لم أستطع أن أمنع إحساسى بأننا مجتمع من المذنبين. كلنا بلا استثناء مسؤولون عن انحراف هؤلاء الأطفال وضياعهم .

وعندما سألته عن سبب تعاطيه هذه السموم، أجاب بلا مبالاة :

- عندمـــا هربت من بيت أمى . . تـلقـفـتنـى ذراع المعلم حميـدو وأخذ يعلمنى أصول الصنعة . . النشـل من الأتوبيسات والموالد فى السـيدة والحسين . . وآخـر الليل ، بعـد أن أعود له بالمحصول يعطينى نصيبى ، عـدة قروش ومعهم حقنة ماكس . . حتى أصبحت لا أستطيع الاسـتغناء عنه . . فاليوم الذى لا أعود له فيه بالمبلغ الكافى يحرمنى من الحقنة وأبات الليل فى عذاب .

خـرجت من هذا المكان الكئيـب كمن تسـير فـوق تلال من الجمـاجم . . لم أتصور كـيف تسير الحـياة خـارج هذه الأسوار بشكلها الطبيعى ، الأتوبيسات لا تزال تتزاحـم بشراسة والسيارات تطلق أبواقها فى نباح مسعور . . والشبان يتزاحمون على مداخل دور العرض لمشاهدة أحدث لقطات العنف والجنس . . والسيدات منهـمكات فى شراء الأقـمشـة والأحذية والصـوانى التيـفال . . وعناوين الصحف لا تبالى إلا بمقابلات كبار الشخصيات. . حركة المجتمع تسيـر بشكلها الطبيعى جداً وكأنـه لا توجد مأساة خلف هذه الأسوار، تصورت أنى سأخرج إلى الشوارع لأجدها متشحة بالسـواد حدادا عـلى موت البـراءة فى نفس كل إنسـان. . طوال الليل ، لم أسـتطع أن أمحو عن عـينى صورة الخـديعة والكذب ممسوخة فى جسد أطفال ليس لديهم شىء من البراءة والنقاء .

طـــوال

الأسبوع الأخير كانت عـلاقتى بخطيبى عادل قد وصلت إلى قمة الفـتور . ربما من كثرة العـقبات التى اعترضـت زفافنا ، لدرجة أجهضـت رغبتى فى الزواج. فقد الأمر بالنسبة لى بريقه وإغراءه. فـبعـد أربع سنوات من الخطبـة . . مللت ذلك الموقف المائع من الارتباط النصف مـشروع . . لا أنا زوجـة لى حقوق وواجـبات الزوجية . . ولا أنا حرة لى حق اخـتيار حياتى وتحديد مـستقبلى بشكل فردى .

حتى خـلافاتى مع عادل أصبـحت كخلافـات المتزوجين منذ سنوات . . حـتى مشـاعر الحب بيننا بهتت وأصبـحت مكالماتنا ولقاءاتنا تخلو من كلـمة «أحبك» . وبعد أن كـان تأجيل الزواج فى البداية اضطراريًـا ، مرة بسبب الشـقة . . ومرة لأجل سـفر عادل للعمـل بالصحراء . . ومرة لموت أمه . . أصـبحت أنا الآن التى أؤجل الزواج بلا أسباب . فها هى الشـقة أصبحت موجودة ومعدة . . وأخـذ عادل مركزًا بارزًا فى شركة البـترول التى يعمل

بها . . وأصبحت أنا مستقرة ومستغرقة فى عملى بعد انتهائى من الدكتوراه . .

ولا شىء يستدعى عدم إتمام الزواج أو تأجيله غير أنى اكتشفت فجأة أنى غير راغبة فى الزواج . ليس كراهية فى عادل . . على العكس ، فأنا أحبه ولا أتصور نفسى زوجة لغيره . . ولكن لأنى فهمت - ربما متأخرة - أن الزواج عملية اجتماعية صعبة ، لا يمكن أن يقدم عليها شخص إلا إذا كان تحت تأثير المخدر . تمامًا كعملية المصران الأعور . . لابد أن يهاجمك التهابه فجأة ، فيصبح لا حيلة لك غير إجراء العملية . . وتحت تأثير المخدر توافق وتستسلم . ويتم فتح بطنك ، واستئصال جزء من جسمك . . وبعد أن تفيق . . تكتشف أنك لم تعد كسابق عهدك . . صحيح أنك الآن أكثر أمانا واستقرارًا . . ولكن هناك شيئًا منك قد انتزع قهرًا تاركًا وراءه آثار جرح لن يمحى أبدًا .

وأنا الآن ، بعد أربع سنوات من الانتظار . . تلاشى تأثير المخدر من على مشاعرى . . وأصبح عقلى فى حالة تيقظ ووعى كاملين . . يحسب ويحلل كل شىء دون الوقوع فى فخ

الأوهام. ووجـدت أن لا شيء يغريني للدخول بقدمي - وأنا في قمة التيقظ - إلى قفص الزوجية . فمن الناحية الاقتصادية ، فإن دخلي من وظـيـفـتي ومما ورثتــه بعـد وفـاة أبي يـزيد عن كل احتياجـاتي. ومن ناحية البيت ، تسافر أمي مـعظم أيام الأسبوع إلى «البلد» تباشر بنفسها أعمال الزراعة في أرضنا وأبقى أنا سيدة المنزل . أمـا الحب ، فلم يعد عـادل هو المصـدر الوحيـد له . . فأصـدقاء الطفـولة وزملاء العـمل يغدقـون على الحب والحنان . حـتى الأطفال . . الجـدوى الرئيسـية للزواج ، . لـم أعـد أرغب فيـهم. . طوال حياتي وأنا أقـدس الأطفال ، وأتمنى أن يكون لي منهم عشرة . . أما الآن ، بعد أن فهمت الحياة وذقت طعم مرارة صـراع الإنسان مـعـها . . وبعـد أن قـابلت الطفل سـعيـد في الإصلاحـية . . وجدتني أهمس لنفـسي : «لأني أحبك يا طفلي الذي لم أحمل بذرتك في أحشائي ، لن ألدك أبدًا» !!

❁ ❁ ❁

صباح ٢٥/٨

ذهبت إلى مؤسسة الأحداث . . سألت عن الطفل سعيد . . كنت أريد أن أطمئن إلى النتيجة التى وصل إليها علاجه من الإدمان . تصورت أنه بإمكانى إنقاذه من طريق الضياع . . بشكل ما كنت أريد أن أتبناه . . حتى لو كان إنقاذه لا يعنى شفاء الآخرين . . ولكن على الأقل - بالنسبة لى - فإن نجاحى فى علاج حالته يعتبر نجاحًا للبحث الذى أقوم به .

قالت لى المديرة بارتباك يوحى بعدم صدقها . . إن سعيد ترك المؤسسة لأنه شفى . وإن والدته حضرت واستلمته بعد أن تعهدت برعايته . طلبت منها أن تسمح لى بمقابلة بقية الأولاد لأن هناك بعض النقاط الهامة الناقصة لإتمام بحثى .

صحبتنى المشرفة إلى حجرة كبيرة حيث يقوم المشرفون بتعليم الأولاد بعض الحرف اليدوية التى تساعدهم على العمل الشريف بعد خروجهم . سألت بعضهم عن المعيشة داخل الإصلاحية

وهل يجدون فيها الرعاية الكافية . . بمعنى إن كانت تعوضهم عن الجـو الأسرى الذى افـتقـدوه فى أسرهم الخـاصة . فـأهم نقطة بالنسبـة لى هى معـرفة إن كان كل طفل يشـعر منهم فى صـميم داخله . . أن هذا المكان مـوجود لرعايتـه وإصلاحـه . . فيشـعر تجاهه بالانتـماء والحب . . أم إنه يشعـر بأنه سجن كريه اعـتقلوه داخله لأخطاء ارتكبها رغما عنه ؟؟

همس لى أحـد الأولاد وبريق من الزهو والانتصـار يلمع فى عينيه :

- هرب سـعـيد منذ يـومين . . تسلق الأسـوار أثناء الليل وهرب !

كانت عيناه تعكسان معـانى أخطر من كل الكلمات المحفوظة التى سمعتها . . كانت عيناه تبوحان سراً بأن سعيد تحول فى نظر كل منهم إلى بطـل أسطورى . . وأن نجاحـه فى الهـروب مـعناه اقتـراب تحقق حلم كل منهم فى أن تسطع علـيه شمس الصـباح التالى وهو خارج هذا السجن .

شعرت بغصة فى قلبى ، وعندما سألته بطريق غير مباشر عن جدوى هروب سعيد فـى نظره . قال وكأنه يحلم : التخلص من الأوامر ! وشعرت أنى أضيع معه .

قبل أن أودعـهم وأخرج أسـفة . . ناداني أحـدهم وأنا على أعتاب باب الخروج . . تقدم ناحيتي وهو يخفى إحدى يديه خلف ظهره ، قال بمكر رجل خبيث : ألم تفقدى شيئًا يا أستاذة ؟

كنت كطفلة بلهاء وأنا أفتش فى محتويات حقيبة يدى . . ثم فجأة صرخت : حافظتى ! بها كل مرتبى وأهم أوراقى .

ابتسم باستعلاء وهو يخـرجها لى من خلف ظهره وكأنه يريد أن يفهـمنى بأنه على الرغم من كل الاعتبارات الأخـرى . . فإنه هو الأقوى والأقدر .

أخذتها منه بيد مرتعشة . شعرت باليأس والأسى ومضيت .

فى الممـــر الرطب الطويل المؤدى إلـى البـاب الكبـــير . . أستوقفنى صوت امرأة ترتدى ملاءة سوداء داخل حجرة المديرة . . كانت تستـعطفها أن تأخذ عنها ولدها لأنهـا فقدت حيلتهـا حيال انجرافه وراء أهل السوء ، وهى المرأة الوحيدة المثقلة بعبء خمسة أولاد غيره .

عندمـا خطوت خـارج الأسوار . . رأيت الدنـيا من حـولى ظلاما . . رغم شـمس الظهيرة . . كـانت الدنيا كلهـا فى عينى ظلاما . .

مساء ٢٥/٨

فى البيت

عكفت على كتابة البحث ، أغلقت على نفسى باب حجرة وقلت للخادمة ألا تقاطعنى حتى لو اتصل بى عادل . كتبت صفحات عديدة ثم مزقتها كلها . كان الصراع يمزقنى . . فما أراه وأعتقده غير المفروض أن أكتب عنه وأعرضه .

علمونا فى الجامعة ، أنه عند كتابة أى بحث علمى ، يجب أن نخلص إلى نتائج عملية واقعية لحل المشكلة . وأنا لا أجد أى حل عملى لهذه الكارثة سوى أن تضع الدولة قانونا يحمى الطفولة من آبائها .

لم أستطع أن أفلت من حقيقة أن طفولة منحرفة تعنى أبوة منحرفة .

وحتى نصلح الابن يجب أن نتجه أساسًا إلى الأب والأم . . والمدرسة والتليفزيون والجريدة والسينما . ووجدتنى أملأ صفحات

عن خطة قومية يجب أن تتبناها الدولة لتوعية الآباء لرعاية الأبناء عن طريق جهاز إعلامى خطير مثل التليفزيون الذى يصل إلى الأمى والمتعلم على حد سواء . وأخيرًا انتهيت إلى أنه لو خلصت النوايا لتيسرت السبل . . وأن طفلاً واحدًا منحرفًا هو مشكلة المجتمع كله وليس مشكلة أبويه وحدهما . . وأن تجاهلنا لهذه الكارثة لا يعنى اختفاءها لأنها ستنمو كديناصور ضخم لا يلبث أن يشق سطح الأرض ليلتهمنا واحدًا بعد الآخر .

❁ ❁ ❁

٨/٢٦

ايقظتنى أمى قرب الظهر . . كنت استغرقت فى النوم وأنا لم أزل على مقعـدى وأوراقى راقدة على صدرى وقلمى واقع على الأرض . قـالت لى إن عـادل ينتظرنى عـلى الهـاتف . لم يكن لى رغـبـة فى التحدث إلى أى شخص . . كنت مـرهقة البدن والذهن . . هذا إلى جانب أنى كنت أتوقع نقاشًا حادًا من جانبه لأنى لم أتصل به منذ يومين ، ولم أكن مسـتعدة لسمـاع أى كلمة جافة أو عـتاب عنيف . بل كنت عـلى العكس تمامًـا ، بحـاجة مـاسـة إلى من يخفى رأسى فى صـدره ويربت برفق على شعـرى ويتركنى أبكى وأبكى لأفرغ كل الحزن المكبوت فى صدرى . كنت كطفل مذعور فى قلب ظلام مـخيف . تناولت سـماعـة الهاتف . . وقـبل أن ينطق بحرف أسرعت أقول :

- عادل ، أنا بحاجة إليك . . أريد أن أراك ، حالا !

مـر علـى بسـيـارتـه . . ذهبنا إلى مكان نـاء قـرب أطراف الصحراء . . كانت الشمس تقترب من الغروب . . نزلنا نسير على

الأقـــدام . . خلعـت حــذائى ، كنت أريـد أن ألمس الرمـال بأصابعى . . أريد أن أتوحد مع الطبيعـة ، كثيرًا ما تمنيت لو كنت حبة رمل . . قـطرة ماء . . نسمة هواء . . أى شىء غـير إنسان يصارع ويتألم .

تشابكت أصابعنا وسرنا دون أن نتكلـم . . كـلانا كـان متعبا لا يجد الكلمات ليعبر عـما بداخله . . ففى النهاية ، ما جدوى كلمات عاجـزة إذا كان كل ما حولنا أقـوى منا . ولأول مرة منذ سنوات ، أجد الخدر يزحف ليـشمل كل حواسى . . وأغرق بين ذراعى عادل . . أتوه فى أحـضانه . . كأنى نمر استـوائى يجرى وسط أحراش الغابة . . ووجدتنى وهو يرتشف شفتىّ ويسألنى : «هل نتزوج الأسبوع القادم ؟» أهمهم باستسلام لذيذ : «نعم» !

❁ ❁ ❁

منتصف ليلة ٢٦/ ٨

عندما عدت إلى البيت كنت أكثر هدوءا وأقل تشاؤما . فإحساسى بأن هناك قلبا واحدا فى هذا العالم يشاركنى أحزانى . . يحتمل تقلباتى . . ينصت إلى أوجاعى . . يجعلنى أحتمل ظلم العالم كله .

ازددت حزنا وشفقة تجاه أولئك الصبية الذين أطلقوا فى وجه مجتمعهم صرخة احتجاج لافتقادهم الحب والحنان . فإذا بالمجتمع يرد على صرختهم بمزيد من الجفاء والعزل والاحتقار ، تمنيت لو كان فى قلبى قدر من الحب يكفى . . يشبع . . يشفى كلا منهم . كنت مقتنعة أن هذا هو العلاج الوحيد الفعال . . وليس فى النظريات الصماء التى نذيل بها أبحاثنا وكأننا نجرى تجاربنا على عينة من الفئران ، وليس مع بشر أكثر ما يمزقهم ويدفعهم للضياع ، تجاهل أحاسيسهم وحرمانهم من لمسة حب واهتمام .

سألتنى أمى عن أحوالى مع عادل . كانت تبدو قلقة متوترة

وهى تسألنى إن كنا قد اتفقنا أخيـراً على موعد الزفاف . حاولت أن تجعل نبراتها هادئة ما استطاعت وهى تقول :

- الناس يسألوننـى إن كنت أنجبت طفلاً ، لا أحـد يصدق أنكما لا زلتما مخطوبين بعد كل هذه السنوات !

كـادت تهرب منى الكلمـات لأثلج قلبـها وأزف إليـها النبـأ السعيد . . «نعم يا أمى أخيراً اتفقنا ، سنتزوج الأسبوع القادم» .

ولكن شيئًا ما أخرس صوتى . . خنق الكلمات فى حلقى . . لم أستـطع أن أنطقهـا ، «سنتزوج الأسـبوع القادم ، كـان هناك صوت أقوى منى يرد صارخًا :

«لا . . لا» هذا الصـوت الصـارخ فى داخلى يحـيـرنى . . يقلقنى . . يشلنى ، فأنا أحب عـادل ، ولكن لسبب أقـوى منى لا أستطيع أن أتزوجه . فمـا زالت صورة أمى تلاحقنى ، وتحبط من عزيمتى كلمـا أقدمت على هذه الخطوة الطبيعـية جدًا ، والتى يقدم عليها الجميع بلا إشكال .

فما زلت أذكر حتى الآن ، وأنا طفلة وأمى امرأة ناضجة فى ريعـان الشبـاب . . جمـيلة بمقاييس عـصرها . . تضج نشـاطًا

وطموحًا وعملاً . . كل هذه الصفات وضعتها بسعادة تحت خدمة أبى . . كل هذه الطاقات والإمكانيات بذلتها بسخاء تحت قدمى أبى ، فقط كى يسعد ويرضى . . وهو دائم الانتقاد والسخط والتأفف .

فى يوم من الأيام وأنا فى سنوات دراستى الثانوية ، خطر لى أن أحسب كم عدد الأعمال التى تؤديها أمى . . فوجدت أنها تعمل طاهية ومديرة منزل . . ومربية . . وسيدة مجتمع . . ورفيقة لزوجها . . ومشرفة زراعية على أرضها . ستة أعمال شاقة مرهقة كل منها يحتاج لتخصص وتفرغ فى ذاته ، ولا أجر ولا حتى تعبير عن شكر . كثيراً ما تساءلت حتى تجرأت يومًا وسألتها: «لأى شيء تحتاجين أبى ؟» وجمت لبرهة طويلة تفكر، وكأن سؤالى لم يخطر لها على بال أبدا من قبل . رأيت اضطرابا عصبيا يحرك أعصاب وجهها . . بدا أن صدى سؤالى كان مقلقا لمشاعر ومفاهيم استسلمت لها منذ زمن . أجابت وكأنها تعيد على نفسها ما تعودت أن تقنع به نفسها منذ ثلاثين سنة : «لأنه يجب أن يكون لى زوج . . ويكون لك أب . . مثل كل الناس» .

وفهمت من ردها أكثر مما كانت تستطيع إدراكه والاعتراف

به . . فهمت أنهـا كانت تحتاج إلى صـورة اجتماعيـة ترضى بها المفاهيم السائدة ولا شىء أبعد من ذلك ، ففى زمانها لم تكن أى امرأة تستطيع أو تجـرؤ أن ترفض الزواج ، أو حتى تؤجله ، وإلا وضعت فى قائمة طويلة من الاتهامات .

أما أنا فأسـتطيع ألا أتزوج وأتفرغ لمستقـبلى العملى دون أن أوضع تحت مقصلة نفس قائمة الاتهام فالزمان تغير ، صحيح أن تصرفى سوف يقابل ببعض الشك والاستغراب . . ولكننا أصبحنا الآن - إلى حد ما - فى زمان شعاره «كل شخص حر فيما يعتقد ويسلك» . والحقـيقة أنى كنـت أعتقـد بأنى فى يوم ما لابد وأن أتزوج . . بدليل أنى رحبت بخطبـتى إلى عادل . . ولكنى كنت أتصور أن هذا اليـوم سيكون بعيداً وليس أبداً فى الأسـبوع القادم كما وعدته .

كانـت نظرة بسيطة للمـتزوجين من حـولى تكفى لأدرك أن الزواج نظام شيـوعى استبـدادى . . يحتكر كل طاقـات الإنسان وإمكانياته البشرية .

أما الاسـتقلال ، فـهو نظام رأسمـالى حر . واكتـشفت أن

الفارق الجوهرى بين النظامين فى الزواج كما فى السياسة ، أن فى النظام الاستبدادى يتمتع الإنسـان بنوع من الضمان لاستمرار الحد الأدنى مـن أساسـيات الحـيـاة بلا خـوف .. مقـابل حـريته .. وتفرده .. واستقلاليته ..

أما فى النظام الحر .. فالفرد يعيش وحياته على كفه .. يوم فى السماء ويوم فى الأرض .. لا ضمـان ولا استمرار لشىء إلا بقدر مـجهـوده وإرادته وحظه .. ووجدت أننى بلا تردد أخـتار النظام الثانى ، فـأنا على استعـداد أن أدفع أى شىء ثمنا لحريتى فى الاختيار واستقلالية إرادتى .

❁ ❁ ❁

٨/٢٨

دق

عادل بابنا منذ الصباح الباكر . . جاء يتفق مع أمى على تفاصيل إتمام الزفاف قبل أن أغير رأيى . . كانت سعادة أمى لا توصف . . أسرعت بطلب الأقارب والأصدقاء لدعوتهم بعد أسبوع بالتمام . . حاولت أن أفهمها بأنى لا أحب هذه الشكليات يكفى أن نكتب الكتاب ونخرج أنا وعادل بعد ذلك للعشاء . خبطت أمى على صدرها بانزعاج . . قالت :

- لماذا ؟ أتريدنهم أن يقولوا إننا نداری فضيحة . . والفستان الأبيض والطرحة ألن تتباهى بهما أمام بنات الخالة ؟

بدأ الاضطراب واضحا على وجه عادل ، كان يعرف أن هذا الكلام لا يعجبنى . . ولا يقنعنى . . أسرع بالتدخل قبل أن يتطور الأمر إلى مشادة بيننا تفسد عليه إتمام الزواج . اجتهد أن يرسم ابتسامة مفتعلة ليوحى ببعض الفكاهة تخفف من الموقف ، قال وهو يربت على كتفى وكتف أمى :

- يا جماعة صلوا على النبى .

ارتفع صوتى معترضا :

- يا ماما لن تفهـمينى أبدًا . . أنا لا أشكـل سلوكـى وفق ما يعتـقـده الناس ويرضيهم . . أنا أسلك وفق ما أعـتقـده بعقلى أنا . . وليقولوا بعد ذلك ما يقولون .

احتدت أمى غاضبة :

- اسـمحى لى أن أقـول لك يا دكتـورة يا عظيمـة ، أنت تفكرين خطأ . . ألم يعلـموك فى الدكـتوراه أن الإنسـان حيـوان اجتماعى .

شعرت أن علمى قد أهين وافترى عليه، فأسرعت أدافع عنه :

- هذه النقطة بالذات هى بؤرة العـفن فى مجـتمـعنا والتى تزيدنا تخلفا والعالم من حولنا يتقدم ويزدهر .

هنا قام عادل محاولاً احتواء الموقف . . كنت أعرف أنه يشعر بالحرج ولا يدرى أى الكلمات ينتقى . . فأى كلمة ينطق بها لابد أنها إما ستغضبنى أو تغضب أمى . . لذلك فقد تحدث بشكل عام لمجرد أن يهدئ من روعنا ، قال :

- نحن الآن خرجنا من موضوع الزواج .. ودخلنا في الفلسفة ثم قال بمرح :

- يا ناس أريد أن أتزوج ، حرام عليكم هكذا . ضحكت أمي وربتت على كتفه .

أما أنا فلا زلت منفعلة وقلت أحسم الموضوع :

- عموما أنا متنازلة عن جزء الاحتفال .. تستطعين يا أمي دعوة ما تشائين .. أما موضوع الطرحة فلا يمكن أبدا .. لا وألف لا ..



٨/٣١

فى الايام

القليلة الماضية ، سرقتنى التفاصيل التقليدية اللازمة للإعداد للزفاف .. قمصان النوم .. الطقم الصينى والفضية ، كانت هناك أشياء كثيرة لم تزل ناقصة حتى تصبح الشقة مكتملة ، لكن عادل أصر أن نكمل الأشياء المتبقية فيما بعد .

قبل الاحتفال بأربع وعشرين ساعة .. جاء عادل يحمل لى مفاجأة .. أخرج من حقيبته ظرفا مغلقا أبيض وقال وهو مبتهج : افتحيه ، أسرعت بفضه فى لهفة ، فأنا منذ طفولتى أعشق الهدايا والمفاجآت . هتفت فرحة : عادل أحبك . وأسرعت أقبله وأنا ما زلت ممسكة بتذكرتى الطائرة إلى الأقصر وأسوان رحلة شهر العسل .

فرحة الآخرين ، خصوصًا عادل وأمى باقتراب موعد الزفاف أدخلت البهجة إلى قلبى رغم لحظات الانقباض التى لم أنجح فى القضاء عليها .

أثناء تناولنا طعام الغداء دق جرس الباب .. كانت أمى وعادل

يراجعان أسماء المدعوين للتأكد أنهما لم ينسيا أحدا. جاءت الخادمة تعلن أن ساعى البريد قد أحضر خطابًا مسجلاً باسمى .

بدت الدهشة على الجميع وأولهم أنا ، فمن الذى سيرسل لى خطابا مسجلا بالبريد؟ لم أستطع أن أرشح اسمًا واحدًا. بسرعة فضضت الخطاب. . كانت عيون أمى وعادل مركزة فوق وجهى. . جريت بعينى فوق الكلمات . . لم أصدق نفسى . . أعدت القراءة مرتين. . وأخيرًا صرخت جريت نحو أمى أحتضنها بقوة . . وأنا أضحك وأبكى فى ذات الوقت. . وهما مندهشان من تصرفى الهيستيرى. وأخيرًا ذهبت ناحية عادل والفرحة تسبق كلماتى :

- تصور يا عادل ، تصور . . لقد حصلت على منحة السلام. . سأسافر إلى أمريكا وأدرس فى جامعة سان فرانسيسكو.

ثم أخذت أردد ودموع الفرح تنهمر من عينى : لا أستطيع أن أصدق . . كأنى أحلم .

عند ذلك قام عادل من مقعده وشرر من الغضب يتطاير من عينيه. . أمسك ذراعى بقسوة آلمتنى. . خطف من يدى الخطاب. . مزقه بغيظ . . ثم نظر نحوى بعينين كلهما اتهام وحسرة . . ثم بصمت عاصف اتجه نحو الباب . . وصفعه وراءه بغضب !

٩/١٠

فى الطائرة

من القاهرة إلى محطتى الأولى نيويورك كنت أنزف ألمًا وحزنًا . فرفض عادل الوصول إلى أى حل وسط يجمع بين زواجنا وبعثتى ، وضع نهاية درامية لقصة حب عشت بها ولها طوال أربع سنوات .

ثم آخر ما سمعته عن انهياره الكامل أمام أمله المذبوح مما جعل أهله يطوفون به على العيادات النفسية . كل ذلك سبب لى إحساسًا بالذنب غير محتمل . وقد زاد من همى كلام أمى قبل السفر ، واتهاماتها لى ليل نهار بالأنانية والقسوة والشذوذ لأنى فضلت بعثتى على الزواج .

سقطت دموعى رغما عنى من ثقل إحساسى بأن أحدًا لم يستطع أن يفهمنى . كيف كان لى أن أشرح لهم أن المرأة فى بعض الأحيان من الممكن أن تفضل العقل والطموح والمعرفة على الغريزة والعاطفة ؟ . . إنه حقى الإنسانى فى الاختيار ، فلماذا يحكمون على ويتهموننى اتهامات ظالمة . ثم لماذا يحجرون على

حقى فى أن أكـون مختلفة . مـا العيب فى أن أكون فـتاة وهبت حياتها للعلم والمعـرفة . . وضحت بالزواج والإنجاب ، ما الخطأ فى ذلك وما العيب . . كنت فى حاجة لأن أثبت لنفسى أن المرأة تسـتطيع أن تلعب دورًا آخر هـامًا ومـؤثرًا غيـر دورها التقليـدى المعـروف . . وأنه بإمكانها أن تكون مـنجبـة فكر وعلم ، وليس فقط منجبة بشر .

كـان داخلـى ينزل حـزنًا وألمًا . وأنا أتـرك كل شىء ورائى وأرحل . شارع الطفولة . . بيت الذكريات .. الشجرة التى تطل على شباك حـجرة نومى . . اليمامة التى تذكـرنى فى كل صباح «وحـدوا ربكم» . فـقد كنت أعلـم أنى راحلة . . وأنى ربما لن أعود أبدًا ! !

❁ ❁ ❁

٩/١١

فى الطائرة

من نيـويورك إلى سـان فرانسـيـسكو . لم يكن عندى مشـاعر مميـزة خلال السـاعات الأولى من الرحلة . تعجبت لهذا الركود الداخلى ، مع أنى لسنوات عـديدة كنت أحـلم بهـذه الرحلة . . وكنت أجدنى أطير مع أحلامى وأنا أتخيل نفسى فى مدينة القرن الواحد والعشرين كما يقولون عنها .

فأنا أهوى العيش فى المستـقبل . . أعشق الجديد والمتطور . . أتنفس بارتياح فى الأماكن المتحركة بسـهولة ويسر . . أحس معها أنى أتجدد ، وأنى فى كل لحظة أكتسب خبرات وتجـارب جديدة . رائع أن يرى الإنسان نفسـه ينمـو مـن الـداخـل ويترعرع كأوراق نبات أخضر ، كل يوم ينبت له برعم من جديد .

لم أجد تفسيراً معقـولاً لهذا الركود الداخلى سوى أنه امتداد لحالة ما قبل السفر ، فالإنسان كالترمومتر ، لا يستطيع أن يتحول فجـأة من درجة حرارة ٣٥ إلى ٤٠ وإلا حـدث له نوع من الخلل

وعدم التوازن . . فالطبيعى أن يحدث الارتفاع تدريجيًا . . وكنت أنظر داخلى وأرقب بفضول كيف ومتى ستبدأ عملية الصعود .

محطة البداية عندى الآن ، هى أنى فتاة أفنت أجمل أيام الشباب حبًا وعطاء لمدينة بلا قلب . ترى . إلى أين يفر الابن إذا ولده رحم أم ليس لها قلب ؟ إلى أين يكون المفر ؟

رأيت قلبى كبئر ماء عذب وسط صحراء قاحلة لا يبخل بالعطاء ، لكنه يعيش خوف لحظة أن ينضب البئر ، فمن سيسقيه فى هذه الصحراء القفراء ؟!

❁ ❁ ❁

سان فرانسيسكو :

مــرت

ثلاثة أشهر على وجودى فى الغربة . لا أستطيع أن أنكر معاناتى من مشاعر الوحدة المرة ، رغم الجمال والراحة والهدوء فى كل ما حولى . أيقنت أن قدر الإنسان فى كل مكان أن يكون وجوده دائمًا ناقصًا .

ففى وطنى كنت أعانى من الزحام والصخب وتزاحم المعارف وتدخلهم وحشرهم فى كل تفاصيل حياتى ، كنت أتوق إلى لحظة هدوء وانفراد واحدة ، وهأنذا أعانى من الهدوء القاتل والانفراد المنعزل .

ثلاثة أشهر وأنا لم أر ولم أعرف غير غرفتى والجامعة . كنت أتجه كل صباح إلى محاضراتى ، لا أتبادل مع زملائى أكثر من تحية الصباح . . كنت أركز كل ذهنى وانتباهى إلى شرح الأساتذة، مناقشاتى أثناء المحاضرات لفتت أنظار الجميع نحوى

كفتاة ملمة بعلومها . فكانوا يسموننى بالمصرية الغامضة . وبعد انتهاء المحاضرات أتناول غذائى فى الكافيتريا ثم اتجه إلى المكتبة ، أمكث بها حتى موعد إغلاقها . بعدها مباشرة أذهب إلى شقتى المكونة من غرفة واحدة وحمام ومطبخ .. أدخل لأجد كل شىء كما تركته فى الصباح .. الغرفة مظلمة .. خرساء .. وكأنها بيت أشباح مسكون بالعناكب . أول ما أدخل كنت أغلق الباب ورائى بالترباس ، فحوادث السرقة والخطف والقتل تعلن عنها الصحف والتليفزيون صباح مساء .

فى بعض الليالى كنت أبكى وحدى فى فراشى من أوهام الخوف .. وكنت أفتح مصحفى وأرتل بعض الآيات القرآنية وجسدى كله يرتجف . ذات ليلة ، قرب منتصف الليل، سمعت صوت مفتاح يدور فى باب شقتى .. كنت لم أزل أقرأ كتابًا فى فراشى عندما سمعت ذلك الصوت الغريب .. وتجمدت الدماء فى عروقى .. وأثلجت أطرافى وشعرت أنها نهايتى لا مفر . وأخيراً استجمعت بقايا شجاعتى ، أمسكت بسكين المطبخ واختبأت خلف الباب .. ثم اقتربت بعينى أسترق النظر خلال عينه السحرية ، فإذا بجارى عائد مخمور يحاول وضع مفتاح

شقتـه فى بابى معتقداً بأنهـا شقته . لحظتـها أنهرت على الأرض أشفقت على نفـسى من هذا التهديد والخوف المستـمرين . بعدها اتجهت إلى دولاب ملابسى وأخـذت فى تعبئة حقيـبة سفرى . . كنت قـد عـزمت على ترك كل شىء والعـودة إلى وطنى حـيث الأمان والاطمئنان . نمت بعد أن طمأنت نفسى بأنى سأعود على أول طائرة .

فى الصـباح ، بعـدما استيـقظت . . جمـعت أوراقى . . وذهبت كالمعـتاد إلى محـاضراتى وقد قررت أن أحـتمل وأواصل مهما كان الأمر .

❁ ❁ ❁

سان فرانسيسكو ٢٣/ ١٢

اليوم

هو نهـاية الفتـرة الأولى من العـام الدراسى . . ظهرت النتيـجة وكنت أنا صاحبة أعلى مـجموع بين كل المجموعة الدراسـية . تفوقت حتى على الأمريكيين أنفسهم . لم أجد شخصًا واحدًا أزف إليه النبأ السعيد. تمنيت لو كانت أمـى إلى جـوارى. . تهنئنى . . تدعـو لى بمزيد من التـوفيق . . تذكـرت عـادل بمزيج من المرارة والألم ، قلت لنفسى : لو كـان حقًا يحبنى لشجـعنى وساندنى وشعر بالفخر لتفوقى . عدت إلى غـرفتى كالمعتاد لأجدها صامتة كالموت . أشعـر بانقباض وحزن كلما قـابلنى السكون القاتل عند مدخل شقتى .

تعجبت وأنا أفتح التليفـزيون لأئتنس بصوته ، كيف يطلقون على أمـريكا بلاد الحرية إذا كـانت خالية مـن الأمن والأمان . . كيف يكون الفرد حرًا إذا كانت إقامـته محددة بعد غروب شمس كل مساء .

رن جرس الهاتف . . المرة الأولى التى يدق فيها منذ سكنت شقتى ، لو كنا فى مصـــر ، لأكدت أن النمرة خطأ . . لكننا فى أمريكا والخطوط هنا لا تخطـئ أبدًا . كان المتحدث زمـيلاً ، لى فى الدراسة يسأل عنــى ويدعونى على العشاء بمناسبـة عطلة نهاية الفترة الأولى وأعياد الميلاد ، قالها لى بمرح : ما رأيك أن نحتفل بهذه المناسبة ؟

تعــجبت لاهتــمامــه المفاجئ بــى ، فهنا الناس لا يجــاملون بعضـــهم ، فلماذا يدعونى علــى العشاء ! وحــتى أريح نفسى من هذه الحيرة أجبته ببساطة : آسفة ، فأنا مشغولة هذه الأيام . أخذ يلح :

- إذن حــددى مــوعداً آخــر ، اليــوم الذى يناســبك . زاد إصراره من حيرتى . لكنه عاجلنى قائلاً :

- هناك أمر هام أريد أن أحدثك فيه .

غلبنى فضولى وهزمنى ضعفى أمام وحدتى ، فقلت بتردد :

- إذن غداً ، نعم غداً . . ما رأيك . . فى الثامنة . . !

أنهيت المكالمة وأنا أحاول إقناع نفسى بأنه زميل جنتلمان ولا ضرر من أن أخرج لأتعشى معه ، الجميع هنا يفعلون ذلك . ثم اتجهت نحو جهاز التليفزيون ، أنيسى الوحيد فى بيتى . . كان يذيع برنامجًا مشهورًا جدًا اسمه «صباح الخير يا أمريكا» . . وكانت ضيفة اليوم سيدة شابة فى نحو الثلاثين من العمر جاءت للتحدث عن مشكلة من نوع غريب . فهذه الشابة الجميلة هى نفسها إحدى المنتجات البشرية لصناعة الأجنة - «صوفى» - وهذا اسمها - كانت ضحية التجارب العلمية التى قام العلماء بزرعها فى رحم أمها ، وهى اليوم بعد ثلاثين سنة تطالب بحقها فى معرفة من هو أبوها ؟

قالت بحزن وأسى : «أريد أن أحدث أطفالى عن جدهم . . عن شكله ونسبه ووظيفته . . أريد أن أعرف إن كنت أشبهه . . أريد أن يكون لى أب مثل كل الناس » !!

أذهلتنى معاناة صوفى . . تصورت وحسبت كل المشكلات الاجتماعية والنفسية التى ستترتب على خلق ونمو جيل جديد ، عدد منه تم زراعته فى رحم سيدة هى نفسها لا تعلم شيئًا عن

الذكر الذى تحمل لـقاحه .. وآخرون يتم تصنيعـهم بشكل كامل فى أنابيب .. فيكبرون ولا يعرفون لهم أبًا ولا حتى أمًا !!

جعلتنى هذه القضية الخطيرة أكتشف أن موضوع دراستى عن شباب الأحـداث أصبحت متخلفة جـدًا .. وبسيطـة جدًا .. إذا ما قارناها بالكوارث الاجتماعية القادمة فى القرن اللاحق .



خرجت لتلبيـة دعوة «توم» على العشاء . جـاء وصحبنى بسيـارته من على باب منزلى . كان متـأنقًا وفى قمـة وسامتـه . أما أنا فـقد تعمـدت أن أخرج لمقابلته ببنطلون قديم ، وقميص بسيط ، ووجهى بلا أى مساحيق . . وكأن المناسبة لا تستحق منى أى اهتمام . . أو كأنى خارجة «للسوبر ماركت» المجاور لشراء علبة سجائر .

فى داخلى ، كـان القلق يشلنى ويحجب عنى أى استمـتاع بالصحـبة ، كنت بدأت أدرك ضـعفى أمام مـشاعـر وحدتى . . واحـتيـاجى المتزايد للدفء الإنسـانى ، كنت أحلم كل ليلة بيـد عادل وهى تتسلل لتمسح برفق فـوق شعرى ، فأنام كطفل ضائع فوق صدره . كنت أحتاج بشـدة تلك الأنفاس الدافئة التى تلهب عنقى . . وهاتين الذراعين القويتين اللتين كانتا تحتويانني بشوق . . كانت أذناى ظامئـتين لكلمات حب كالتى كان يغـرقنى بها عادل فى كل يوم من أيام الصفاء والهناء ، «أحبك» . كانت أول كلمة افتـتح بها صـباحى مع أول رنة هاتف . . فكانت تعطيـنى طاقة

على العمل والعطاء طوال اليوم ، أصبحت أشـتاق إلى معاكساته المرحة، عندما كنت أخـرج من مكتبى لأجد ورقة صغيـرة بيضاء محشورة فى زجـاج سيارتى مكتوب فيها «أفـتقدك بشدة» . وفى المساء ، كنا نهـرع إلى الصحـراء ، نجرى حفـاة .. نرمى بعضنا بالرمـال .. نضحك من الأعـمـاق .. نحكى ما أنجـزناه طوال النهار.. نتـناقش .. نختلف .. نتعـارك .. نتصـالح .. كان حبنا بناء. !

كان توم يحدثنى على مائدة العشاء ، وبيننا شمعة مضاءة .. والموسيـقى الحالمة حولنا .. عـبر لى عن إعجـابه الشديد بى منذ رآنى فى قاعة المحاضرات أول مرة . قال إن بى شيئًا خاصًا يميزنى عن كل الأخـريات . ذلك الشـيء الغـامض الذى كـان يجـعله يتابعنى كل يوم من بعيد دون أن يجـرؤ على الاقتراب منى . قال وهو يبتسم بخجل كأنه يعتذر عن تأخره فى الاعتراف :

- جعلنى مظهـرك الجاد وانعـزالك عن بقية الزمـلاء أخشى التقرب منك . كنت أراك كقلعة شامخة الأسوار .. أبوابها خافية عن الأنظار .

شعرت بخيانة نفسى وأنا جالسة أستمع إلى اعترافات الحب والإعجاب من «توم» بينما أنا مستغرقة فى ذكرياتى مع عادل .

عند أول فرصة طلبت من «توم» أن يعيدنى إلى البيت بحجة إنى مصابة ببعض الصداع . لم يمانع . تصرفه معى طوال السهرة أظهر أنه جنتلمان حقيقى .

فى طريق العودة انحرف بى فى طريق الغابة . . وكان الظلام حالكا والثلج أبيض يغطى الأشجار والطرقات مهجورة من أى بشر . تعجبت للسبب الذى جعله يتجه إلى ذلك الطريق المهجور والخطر ، وقبل أن أفتح فمى أستفسره . . وجدته يوقف محركات السيارة . . ويطفئ أنوارها . . ثم فى لحظة أطبقت شفتاه على شفتى . . وتلصصت يده لترفع طرف قميصى .

أذهلتنى المفاجأة ، فلم يكن هناك أية مقدمات لما حدث . . صرخت . . خبطت بكفى على وجهه . . رميته بعيداً . . فتحت باب السيارة وجريت وسط الأشجار . . كان الرعب يملأنى . . تصرفت بلا وعى . . لم أفكر فى أنى قد أتوه وسط الغابة المهجورة . . وأتجمد فى هذا الثلج البارد . . وقد تمضى أيام

طويلة قبل أن يعثـروا على جثتى . كل ما فكرت فيـه لحظتها أن أنجو من الهجـوم .. تصورت «توم» لحظتها سفـاحا ممن يخنقون الفتيـات بعد الاعتداء عليهن ، وتكتب الصـحف والمجلات تحذر منهم .

سمعت صوته يلاحقنى بين الأشجار مناديا :

- سلوى .. سلوى .. عودى .. إنى أعتذر .

شىء مـا فى صوته طمـأننى .. توقـفت .. كانت أنفـاسى لاهثة .. بدأت أبكى بهستيرية .. شعرت أنى ضائعة .. وأنه لا مفر من أن أتجه إلى خطر أعرفه أفضل من خطر أجهله .

لحظتهـا تجسـدت لى مأسـاة غربتى .. إنى وحـيدة فى هذا العالـم بلا انتماء .. بلا جذور .. بلا أمان .

لحظتها تعـرت الحقيقة أمامى كـاملة .. خلعت ثوبها اللامع البـراق .. لا شىء يربط بينى وبين هـذا المجتـمع رغم تفـوقـه وثرائه. هبطت يدا «توم» تمسكان بكتـفى .. أخذ يهـزنى بعنف كأنما يريد أن يفيقنى من اللوثة التى أصابتنى .

صرخ بغضب :

- أيتها المجنونة ، أتريدين أن تتجمدى فى هذا الصقيع . . ماذا تعتقدين ، أنى سفاح ؟ . . كل ما أردته هو أن أمارس الحب معك ، لماذا تهربين منى ؟!

ضاعفت كلماته من اغترابى . . زادت حمى بكائى . . صرخت وأنا أضربه على صدره :

- لا أريدك أن تلمسنى . . لا أريدك .

فى السيارة ، كنت أرتعد من الخوف والبرد . . حرك توم المحرك ويداه ترتعدان هو الآخر من الصدمة . طوال الطريق إلى منزلى كان يؤنبنى بغضب . . توالت أسئلته بحدة :

- لماذا إذن قبلت دعوتى على العشاء ؟ لماذا خرجت معى إن كنت لا أعجبك ؟ هل تدعين السذاجة أم تمثلين دوراً فكاهيًا ؟

ثم استرسل فى هجومه :

- لست طفلة بلهاء ، أنت امرأة ناضحة تعرفين أن نهاية أية سهرة رومانسية بين رجل وامرأة لابد وأن تكون حبا وعناقا . هل أنت مجنونة أم مريضة أم ماذا ؟ لا أفهم تصرفك ، حقيقة لا أفهمه .

لم أرد عليه . . كـان عقلى قد فـقد القـدرة على العمل . . فكيف كان لـى أن أشرح له كل هذا التراث الطـويل من العادات والتقاليد والدين الذى ينبض فى كل خليـة من جسمى . هل كان سيصدقنى حـتى لو أغلظت له القسم بأنى طوال أربع سنوات من الحب الجارف لم تتعد العلاقة خـلالها عن قبلات حانية بينى وبين عادل خطيبى .

هل سيصـدقنى ويفهمنى لو قلت له إنى مع اقـترابى من سن الثلاثين فلم أزل عذراء! كيف كان له أن يفهمني وهو ابن مجتمع الحرية الجنسية الذى تتباهى فيه الفتاة بأنها لم تعد عذراء وهى فى سن الثالثة عشـرة ! وتهجر منزل أبويها لتعيـش مع صديقها وهى فى الخامسة عشرة ؟؟ كانت المسافة بينى وبينه شاسعة . . كالمسافة النائية بين قارتينا . . مختلفة كفارق التوقيت بين بلدينا .

عندما توقف بسيـارته أمام باب منزلى . . نظر إلى وهو يقود ببرود أدهشنى :

- لا يزال أمامنا الوقت لإصلاح ما حدث ، هل أصعد معك إلى غرفتك ؟

ووجدتنى عاجزة عن فهم كيف يفكر ، كيف لم يفهم ، وكيف يرفض أن يصدق ؟!!

كل ما استطعت فهمه أننا لا نقف على أرضية واحدة ، فتحت حقيبة يدى . . أخرجت منها عشرة دولارات . . وضعتها أمامه قرب عجلة القيادة . . ثم فتحت باب السيارة وأغلقتها خلفى فى صمت !

❁ ❁ ❁

صحا الصبح من زمن حتى قارب الظهيرة . وأنا لم أزل راقدة فى فراشى .. لا أنا غافلة ، ولا مستيقظة .. أضم وسادتى إلى صدرى وكأنى ألتمس منها الدفء والأمان . كنت أشعر بإعياء ذهنى ونفسى يشل إرادتى عن أى فعل إيجابى .. كنت حائرة ممزقة إلى درجة المرض .

اعترفت لنفسى فى لحظة ضعف بأنى هزمت .. وأن تحدى الغربة أقوى منى .. ووجدتنى أدفن رأسى فى وسادتى وأبكى بحرقة وحسرة وأعض أصابعى من شدة الألم وأنا أهمس :

- «عادل ، أين أنت ، أحتاجك» !

لحظتها كنت مستعدة أن أدفع أى شىء مقابل أن يحتوى عادل خوفى وتمزقى .. كان يكفى أن يضمنى إلى صدره .. ويقبلنى فى شعرى .. ويهمس فى أذنى :

«لا تخافى ، كل شىء سيكون على ما يرام» كان يكفينى أن يحدث هذا حتى أحس أنى أقوى امرأة فى العالم .

بصعوبة شديدة . . وبكبرياء ينازع العناد . . اعترفت لنفسى بأن المرأة رغم الحرية والاستقلال والعلم تحتاج لحماية رجل .

لم يكن سهلا على أن أعترف بذلك ، فلقد عاندت كثيراً وتعندت كى أثبت لنفسى أنى لست فى حاجة لحماية رجل . . كنت أعتقد أن عقلى يكفينى وأن به وحده أستطيع أن أحقق الحماية والأمان . . ولكن ، ها هى التجربة تأتى لتؤكد لى عمليا أنه حتى فى أكثر دول العالم تحضراً وحقوقًا للمرأة فإنها تبقى فى حاجة للعضلات لتحميها من الغوغائية . . وهذا هو الشىء الوحيد الذى - للأسف - لا أملكه !

ولم أهدأ وأطمئن إلا بعد أن تناولت ورقة وقلما ، واستجمعت شجاعتى وكتبت لعادل كلمات تلغرافية :

- « عادل . . أحبك . أحتاج إليك . » إمضاء «سلوى» .

كنت أعرف كيف سيكون رد فعل هذه الكلمات على عادل، لو كان مبقيا على حبى ، فإنه سوف يغفر لى فوراً ويجيبنى .

فهــو يعرف جيــدًا أنى لا أعتــرف باحتيــاجى لأى شخص إلا إذا كنت تحت ضغط أزمــة مستــعصية . وكــان دومًا يهرع لمســاعدتى والوقوف إلى جــانبى إلى حين تخطى الأزمة . ترى هل سيــفعل نفس الشىء هذه المرة ؟

تذكرت عقدتى من أبى . . وكيــف كان يستنزف جهد أمى . تذكرت قسمى القديم بأن لا أسمح لأى شخص مهما كانت صفته أن يستنزف جهدى ووقتى على حساب طموحى وأحلامى .

تذكرت كل ذلك ، ووجدتنى أنظر إلى الصورة لأول مرة من زاوية مخــتلفة . . رأيت صورتى وعــادل تختلف كثــيرًا عن أمى وأبى . فالإطار الذى يجــمعنا أســاسه المشاركــة . . لأن كلا منا يعرف أنه يستــطيع السير بدون مساعــدة الآخر . . لكنه مع ذلك يحتاج لحبه وحنانه وتشجيعه ليستطيع أن يكمل الطريق بدرجة أقل من المعاناة والألم . فاحتياج أمى لأبى كان اجتماعيًا ماديًا . . أما أنا ، فاحتياجى معنوى عاطفى ، والفارق بيننا كبير .

❁ ❁ ❁

مساءً :

الليلة

هى ليلة الاحتفال بعيد الميلاد . . الزينات باهظة التكاليف ورائعة الألوان تملأ كل مكان منذ بداية الشهر . . الشوارع وواجهات المحلات والأسطح والنوافذ ، كلها تبرق بأضواء شجرة عيد الميلاد . أما الشوارع فكان يكسوها الجليد وتكاد تخلو من المارة ، فالجميع يحتفلون بالعيد داخل منازلهم مع عائلاتهم وأصدقائهم .

قررت الخروج للسير على رصيف ميناء سان فرانسيسكو رغم خطورة ذلك فى الشتاء أثناء الليل . لكنى ساعتها لم أهتم . . كنت سأجن لو بقيت ثانية أخرى سجينة تلك الزنزانة الانفرادية .

كنت ربما الفتاة الوحيدة فى المدينة التى تتمنى انتهاء العطلة وعودة الدراسة لأجد ما يشغلنى .

هواء الميناء رغم صقيعه . . أثلج أعصابى . . لم يكن هناك أحد غيرى يسير على رصيف الميناء . كنت أسير عدة خطوات

وسط السكون والظلام ثم أتلفت ورائى كان يخيل لى أننى أسمع وقع خطوات تتبعنى . أسرعت أحتمى بأول كافيتريا قابلتنى . فمنطقة الميناء تزدحم بمطاعم الأسماك وقواقع البحر المتلاصقة. أخذت مقعدا بجوار النافذة المطلة على البحر وقبل أن أخلع قفازى سمعت صوتا ناعما يسألنى :

- ماذا تشربين من فضلك ؟

وقبل أن أجيب : قهوة ساخنة. رفعت عينىّ لتقعا على بشرة فيها لون طمى أرضى .. وعينين فيهما وهج شمس صحرائى ، وقوام لحتشبسوت المرسوم على جدران معبد الدير البحرى .

كدت أهتف بها وأناديها . بفاطمة أو خديجة فإحساسى لا يمكن أن يخطئ .. إنها مصرية حتما .. وقبل أن أهتف بها بفرحة ابن ضال عثر أخيراً وسط الزحام على صدر أمه ... كانت قد اختفت ، انتبهت إلى أن العاملات هنا لا وقت عندهن للنظر في وجه الزبائن ، فالدقيقة تساوى إما دولارا وإما الفصل من العمل. أخذت أتابعها من بعيد وهى تتحرك برشاقة ونشاط بين الكراسى والطاولات المزدحمة بالرواد . عشرات الأسئلة تزاحمت فى رأسى ، ترى من تكون .. وما الذى جاء بها إلى هنا .. ما قصتها - وكيف تتعامل مع غربتها !!

لحظة ، وكانت تضع أمامى فنجان القـهوة الذى يتصاعد منه الدخان ، عاجلتها قبل أن تختـفى من أمامى : مصرية ؟ فاجأتها لغتى العربية وكأنى نقلتهـا فى لحظة من عالم إلى عالم آخر بعيد . سكتت وهى تتفـحصنى بعـينيها كـأنما تقيمنى إلى أى فـئة من المصريين أنتمى . كانت نظراتها تعكس ذكاءً لماحًا .

وأخـيرًا قـالت : نعم ، وأنـت ؟ فرحت لأن فـراسـتى لم تخب. أجبت وابتسامة عريضة تلمع فوق شفتى : «من القاهرة»!

ردت على بابتـسامة مـرحبـة . . ثم ابتعـدت وهى تقول : سأكون مـعك بعد قليل . حملت الصينيـة بباقى الطلبات ودارت توزعها بنشاط على بقية الزبائن ، ولا أدرى لماذا شـعرت ساعتها ولأول مرة منذ وطأت قدماى بلاد الأمـريكان ، أنى أصبحت فى أمن وأمان . . أدركت لحظتها أن لا علم ولا خبرة ولا عمل يمكن أن يمنح الإنسان الأمان الذى يوفره له نبض إنسان آخر .

كنت قـد قـررت أن أنتظرها حـتى نهـاية الليل لو اقـتـضى الأمر . . فهى أول مصرية أقابلها منذ غادرت وطنى . . كنت أريد أن أتكلم بالعربية وأسمع كلاما مصريا . . كنت أذوب شوقا لكل ما هو من رائحة مصر - كـما نقول بالبلدى - تذكرت نفسى أول

ما ركبت الطائرة إلى نيويورك وقد عقدت العزم على الرحيل الأبدى والهجرة . الآن أعتقد أنى بدأت أراجع نفسى . . أعيد النظر فى تفكيرى . لعنت عاطفتى ألف مرة ، أسوأ وأجمل تراث ورثته عن أجدادى الفلاحين والصعايدة والفراعنة .

عادت تمر على وابتسامة ساحرة تضئ سمرتها فتمنحها جاذبية خاصة ، همست لى معتذرة وفى يديها أكواب المشروبات :

- «سأكون معك بعد قليل» .

شعرت نحوها بعطف مشوب بالشفقة . . بل أكثر من ذلك، شعرت بنوع من الغيرة على كبرياء مصر . . هل وصل بنا الأمر أن نقطع كل تلك المسافات لخدمة الغرباء ؟ ووجدتنى أهمس فى عتاب مر : «لماذا يا بلد» !!

فجأة اقترب منى رجل فى مقتبل الخمسينات وأنا غارقة فى تأملاتى . . كان يحمل فى يده كأسًا من الخمر ، رفعه فى وجهى دون سابق معرفة ، وأشار لى هاتفا : عيد ميلاد سعيد . . ثم سحب مقعدا وجلس قبالتى بلا استئذان .

لم أدر كيف أتصرف . . فالواضح تمامًا أنه مخمور . .

والأكثر وضوحًا أن أحـدا من الجالسين فى هذه المقهى لن يكترث بى لو صرخت أو طلبت النجدة ، فالجميع هنا يخافون أن يصابوا بطلقـة طائشـة من مجـنون أو مخـمـور كمـا نسـمع ونرى فى التليفزيون. وفـجأة وجدته يمسك يدى . . يرفعهـا إلى وجهه ثم قبلها بعنف . . وارتفع صوته ليسمعه كل الموجودين وهو يردد :

- أنت فتـاة جمـيلة جدًا ، نعم ، إنك جـميلة جـدًا كيف تقضين عيـد الميلاد وحيدة . سوف أدعـوك على كأس . ثم أخذ يهذى بصوته المخمور الجهور :

- أريد كأسًا لهذه الجميلة الوحيدة .

وعاد ينكفىء برأسه على يدى يقبلها .

بقـيت أنـظر فى ذهول . . وقـد أكـد لى مـدى سكره أنه يدعونى بالجميلة . . فأنا أعرف نفسى جيداً . . لست جميلة على الإطلاق، أو على الأقل بالمفهـوم العام للجمال ، فشـعرى أسود ناعم أقصه كالرجال . . ووجهى دائمًا مسغول بالماء والصابون . . جـسدى نحـيل ليس به أية بروزات أنثـوية . . حتى أمى كـانت تنادينى دائمًا بالمسترجلة .

فى هذه اللحظة ، اقــتــربت يد تشــدنى بقــوة من ذراعى لم يسعفنى الوقت لأنظر لمن تكون . . كــنت أنتظر أى نجدة تنتشلنى من هذا المخــمــور . . كل مــا اهتــمــمت به أن أخطف مــعطفى وقفازى وانسـاق وراء الصوت الذى يردد بتعجل :

- هيا اسرعى . . أسرعى !



استيقظت فى الصباح لأجد نفسى وسط مستعمرة مصرية . الشقــة التى قضيت بهــا ليلتى تسكن فيــها ثلاث شابات مصريات ، وبقية الشقق كما علمت فيما بعد ، لمصريين من أعمار ونوعيات مختلفة .

قالت لى شــادية ، الفتــاة التى صحبــتنى من الكافيــتريا ليلة الأمس ، أن بســان فرانســيسكو جــالية عــربية كبــيرة . ســألتنى باستغراب : «ألا تعرفين ذلك ؟» . قلت بسذاجة : «أنا لا أعرف غير المكتبة وقاعة المحاضرات .

انطلقت ضحكات السخرية من الفتيات الثلاث .

بادرت شادية بتعريفى بالفتاتين اللتين تشاركانها السكن بدأت بالفتاة الشقراء الشعر والعينين والبشرة .

قالت :

– هذه سوسن ، تعــمل بائعة فى محل كبيــر لبيع الأزياء . طالبة بكليــة التجارة . . قطعت دراســتها وجاءت لتــجمع بعض

المال لتساعد خطيبها فى تأثيث شقتهما .. ثم انتقلت إلى الفتاة الثانية.. وكان أكثر ما يلفت النظر إليها تلك الرقة المتناهية التى تميز ملامح وجهها وعودها وحتى صوتها .

قالت شادية :

- وهذه كريمة .. طالبة بقسم اللغة الإنجليزية ، قطعت دراستها وجاءت تعمل فى أحد الفنادق وتحاول أن تنسى قصة حب فاشلة .

تجمعت الدموع فى عينى كريمة .. وقالت بصوتها الرقيق :

- شادية ، اسكتى من فضلك .

ردت شادية بشقاوة :

- آسفة يا كريمة ، لم أقصد أن أجرحك .. ولكننا فى الغربة أخوات ، ولا أسرار بيننا .

وغمزت لى بطرف عينها مبتسمة بسخرية !

نظرة واحدة إلى شادية كانت كفيلة بأن تظهر أنها بئر من الأسرار .. وأن شخصيتها مركبة .. وأنها فتاة شقية مليئة بالسحر والأنوثة ، تعرف كيف تسخرهما لخدمة أغراضها .

قالت سوسن بشيء من الغيظ :

– واسمحى لى أن أقدم لك شادية .. طالبة فى ليسانس فلسفة .. تعمل ساقية فى كافيتريا .. قطعت دراستها وجاءت تبحث لها عن عريس .

ارتفع صوت شادية معترضة :

– لا ، لا ، ليس أى عريس من فضلك ، ولكن مليونير جدًا جدًا ..

ثم قامت تتمشى فى الغرفة ، وتناولت لفافة من علبة سجائرها أشعلتها وهى تنظر لى قائلة :

– ما العيب فى ذلك . أنا أختصر الطريق . ماذا أفعل إذا كنت أعشق الفراء والمجوهرات والسيارات الفارهة !!

ولم أحتاج إلى تعريف نفسى ، فقد كانت شادية قد سبقتنى وقامت بهذه المهمة بينما كنت نائمة .

اقترحت سوسن أن نستثمر يومنا فى الخروج للغداء ثم الذهاب للسينما . وافقنا بالإجماع .. وقضيت يومًا من أجمل أيام حياتى . أكلنا وشربنا وضحكنا من قلوبنا .. شعرت أنى

أستعيد أيام مـرحى فى شبابى المبكر . ندمت أنى لم أتعرف بهن منذ بدايـة وصـولى إلى المـدينة . . ندمت على كـل تلك الأيام والليالى التى قضيتها فى وحدة وخوف وكآبة .

عند نهاية المسـاء . . دعيت لقضاء هذه الليلة أيضًـا معهن . اعتـذرت، وأنا أعرب عن رغبـتى فى العودة إلى شقـتى . . كان بداخلى حرص خفى يصر على احتفاظى بخصوصيتى .



فى الظهيرة

تقابلت مـع سوسن عند رصيف الميـناء . دعتنى إلى رحلة بحـرية فـى المحـيط على متن مـركب سيـاحيـة قالـت لى ونحن نقف فى طابور قطع التذاكر :

- لم يزر سان فـرانسيسكو من لم يتـفرج على معـالمها من البحر . ثم سألتنى بدهشة وكأنما تذكرت أمرًا عجيبًا :

- ولكن كيف لـم تركبينها إلى الآن ؟

رفعت كتفىّ فى خجل . لم أسـتطع أن أشرح لها أنى أعتبر وجودى هنا مـحصوراً فى مـهمة مـحددة . تمامًـا كالمجند الذى يذهب إلى التجنيد لقضـاء واجب محدد . فى المركب حكت لى سوسن عن نفسها ، وعن حبها لطارق الذى بدأ مع أول سنة فى الجامعة قالت :

- كان أول شـاب عرفـته فى حيـاتى . . كنت أنا فى السنة الأولى وهو فى البكالوريوس . عرفت معه طعم المرة الأولى لكل

شىء . أول همسة حب . أول مكالمة عاطفية . . أول خطاب غرامى . . القبلة الأولى . . والكذبة الأولى و . . أيضًا الخطيئة الأولى . طوال سنوات ثلاث وطارق يشكل المحور الأساسى لحياتى . . كان كعقرب الساعة الذى تدور حوله ثوان ودقائق حياتى . . كان هو كل طموحى وأقصى آمالى ، حتى وصل حبنا إلى نهاية سعيدة كما يقولون . . تمت خطبتنا وبدأنا فى إعداد عش الزوجية . . وبدأنا نصطدم بالعوائق الاقتصادية . . فاضطر هو للسفر إلى بلد عربى . . وسافرت أنا إلى إحدى قريباتى فى أمريكا . . كلانا يعمل ويدخر .

وبدت لى قصة سوسن وطارق ، واحدة من تلك قصص الحب والكفاح والنموذجية . . لولا أن قطعت حبل خيالى المنسجم وهى تقول :

- ولكن . .

ثم ابتسمت بسخرية :

- تمامًا كما فى الروايات ، هناك دائمًا هذه «اللاكن» اللعينة التى تفسد كل شىء .

قلت بتوجس :

- ولكن ماذا ؟

أطلقت زفيرا حارًا وهى تعترف :

- لم أعد واثقة الآن إذا كان طارق هو الرجل المناسب بالنسبة لى .

استفسرتها :

- وماذا تغير ؟!

وضح عليها الألم من كثرة ما صارعت وهى تشرح :

- أنا . أنا تغيرت . الحياة هنا أكسبتنى الكثير من الخبرات . . فتحت عينىّ على الدنيا . . ببساطة بدأت أعرف الفارق بين الحقيقة والزيف . لأول مرة أجد نفسى أخرج من سجن الفكر التلقينى لرحابة الفكر الحر . واكتشفت أن الكثير من الأفكار التى كانوا يلقنونها لنا ونحن أطفال ، وحتى بعد أن أصبحنا شبابا ، أكثرها خرافات وأوهام . . حتى أصبح فهمنا لأنفسنا نفسه مبنيا على وهم .

استوقفتها بإشارة من يدى ، وقلت مبتسمة :

- على رسلك ، ما هذه الطلاسم الغامضة .؟ كلامك يحتاج إلى قاموس .

وكانت لم تزل منفعلة وهى تقول بحماس :

- أبدا ، سأعطيك مثلاً بسيطًا .. فالأجيال السابقة لنا كانت تتعامل مع بعضها بمنطق القطيع .. أى تقوم بتفصيل بترون واحد كبير تجمع فيه كل تراث الموروثات البالى منها والحميد ، ثم تقوم بتفصيله على كل الناس بلا استثناء دون مراعاة لحق الفرد فى أن يكون منفردًا .. متجاهلين قانون الطبيعة التى خلقتنا بشرعها بأشكال وتكوينات نفسية متفاوتة .. وحتى من ملك الشجاعة ورفض هذا البترون العام وقام بتفصيل بترونه الخاص .. فإن المجتمع يعتبره ناشزًا وشاذًا يستحق كل أنواع العقاب .

والنتيجة أننا أصبحنا جميعًا نرتدى أثوابًا لا تتناسب مع قالبنا الأصلى .. لذلك فمعظمنا غارق فى الفشل والتعاسة سواء أدرك ذلك أو لم يدركه .

حاولت أن أخرج بها من العموميات إلى موضوعها الخاص ، قلت :

- ولكن ماذا عن طارق ؟

قالت بأسى :

- بصدق لا أدرى . كل ما أعرفه أن مشاعرى تجاهه تغيرت. . ولا أعرف بعد ، هل هو تغيير إلى الأفضل أم إلى الأسوأ . فأنا الآن أبحث عن نفسى . . عن ذاتى الحقيقية لا التى ورثتها . بعدها سأعرف من أكون وماذا أريد !

تنهدت وأنا أعرف تمامًا مدى المرحلة الصعبة التى تمر بها . . قلت وكلى شفقة عليها :

- يا إلهى . . أمامك مرحلة حرجة .

وجدت لديها قوة داخلية أراحتنى . قالت :

- أعرف ذلك . ولكنه ثمن أن نعيش فى النور وكانت المركب قد عادت بنا إلى الشاطىء .

❁ ❁ ❁

قضيت

اليوم فى شقتى . . فضلت المكوث وحدى وعدم الخروج ، فبعد أن كنت أتعب من طول الجلوس فيها . . أصبحت أتعب من كثرة الخروج منها .

جعلت اليوم فرصة للنظافة وغسيل وكى الملابس . دخلت شادية دون سابق موعد . . رأتنى مرتدية المريلة ومنهمكة فى تنظيف الستائر والسجاد .

قالت بترفع استفزنى :

- ولماذا تتعبين نفسك ؟

قلت وأنا أنظر لها بشراسة وأضع يدى على خصرى :

- وهل النظافة عيب !!

كانت ترتدى أجمل ثيابها وقد أتقنت تصفيف شعرها . . ورسم مكياج وجهها . . فبدت لى كموديل مرسومة فى مجلة أزياء .

قالت وهى تشدنى من يدى نحو النافذة المطلة على الشارع :

- انظرى ، هذه سيارة كاديلاك أحدث موديل . . وهذا الرجل الأنيق الوسيم الجالس بداخلها هو السائق . . والسيارة والسائق ملكى وتحت أمرى طوال اليوم ما رأيك ؟

كان رد فعلى لا مباليا وأنا أدخل إلى المطبخ لأغسل الصحون وأنا أسألها :

- ومن أين لك هذا ؟

قالت وهى تركن بجسمها على باب المطبخ وتشعل سيجارة:

- إنه زبون لطيف تعرفت عليه فى الكافيتريا الأسبوع الماضى. تصورى ، فى أسبوع واحد أصبح مجنون شادية . كل مساء يأتى إلى الكافيتريا يجلس ويظل ينظر لى بالساعات . فى أول مرة دعانى للخروج ، رفضت . . كان شكله لا يعجبنى ، ثم أنه . كبير فى العمر . فى المرة التالية أنتظرنى وأنا خارجة من عملى . . أرسل لى سائقه الأنيق يدعونى للركوب ، فى هذه المرة أيضًا رفضت . ولكن سيارته الفارهة ، وما سمعته عنه من صاحب المقهى أنه واحد من أثرى أثرياء الولاية جعلنى ألبى الدعوة الثالثة .

ثم أضافت وهى ترمى عقب سيجارتها فى حوض الغسيل :

- أتعرفين . . اليوم أعطانى السيارة وألف دولار وقال لى هذه هدية العام الجديد ، انزلى واشترى بها ما يحلو لك .

لحظتها سقط الطبق من يدى فى حوض الغسيل ، أغلقت الصنبور . . ودفعتها جانبا وأنا أخرج من المطبخ وأقول محتجة :

- ما هذا ، هل تتاجرين بجمالك ؟

قالت بثقة أذهلتنى :

- هذه ليست تجارة ، فأنا أخطط للزواج منه . تستطيعين أن تسميه مشروع استثمارى .

قلت بسخرية :

- وهل أصبح الزواج الآن من ضمن المشاريع الاستثمارية ؟!

قالت بثقة :

- بالطبع ، منذ قديم الأزل والزواج مشروع استثمارى قائم على المنفعة الخاصة . . مهما اختلفت التسميات وتعددت الرؤى. والدليل إنك أنت نفسك عندما تعارض زواجك مع مصلحتك

الشخصية ، بلا أدنى تردد رميت حب أربع سنوات وطرت إلى حيث مكاسبك الخاصة .

أجبت بانفعال :

- لا . لا ، لست موافقة . أنت تنظرين إلى الموضوع بشكل مجرد ، ولا تلمين بمختلف جوانبه . فالزواج الذى لا يتجزأ عندى عن الحب هو كأى علاقة أخرى فى الحياة قائم على الأخذ والعطاء . . وفى حالتى فإنى فضلت المصلحة العامة أى العلم . . عن المصلحة الخاصة وهى الحب والزواج . . فهذه هى عقيدتى ، وهى أيضًا رسالتى ، أن أعطى علما نافعا للمجموع وآخذ رضائى عن نفسى . . وهذه يا عزيزتى درجة سامية من الأخذ والعطاء لن تعرفينها أنت . أما فى حالتك ، فصحيح أن علاقتك بهذا الثرى العجوز قائمة أيضًا على الأخذ والعطاء، لكنه تبادل نفعى رخيص . . لأنك تبادلين جمالك وهو قيمة سطحية بماله ، وهو قيمة وقتية . . فتكون علاقة التبادل النفعى بينكما - أى زواجكما - قائمة على زيف سطحى لا جوهر له ولا أصل .

قالت تحاول التهرب من المواجهة :

- عمومًا لكل إنسان وجهة نظره .

ثم قامت متجهة نحو البـاب ، وقالت وهى تنظر إلى ساعتها تحاول أن تدارى حرجها :

- يا إلهى ، لقد تأخرت ، فالمتاجر قاربت أن تغلق أبوابها.

حاصرتها قبل أن تنصرف :

- شـادية ، أريدك أن تفكـرى وأنت راكـبـة هذه السـيـارة الفاخـرة ، عن الفارق بـينك وبين أى امرأة أخـرى تبيع جـسدها بالمال ، وخصـوصًا لا تحاولى أن تهربى إلى التـبريرات . فلو تم زواجـك من هذا العـجـوز الثرى ، لن يكون له سـوى تسـميـة واحدة ، هى . .

وسكت للحظة مـتـرددة فى النطق بهـا . . ولكن إحسـاسى بالأمومة نحوها ، وشـعورى أننا جميعًا مسـئولين عن بعضنا فى غربتنا جعلنى ألقى بالحقيقة فى وجهها مرة واحدة :

- هى دعارة مقنعة !

وكان ردها صفعة قوية للباب خلفها .

❁ ❁ ❁

عند الفجر

قصة

هذه الليلة أيضًا فزعة من نومى .. نفس الحلم المزعج يتكرر مرات ومرات منذ افترقت عن عادل. نفس الصور وتتابع الأحداث .. نفس الإحساس بالألم والذنب .

فى بداية الحلم أرى وجه عادل مشرقا مقبلا نحوى بفرح . فأجرى نحوه بلهفة وشوق كأنى طائرة فوق السحاب .. وكأنه عائم فوق موجة .. ثم فجأة يتوقف كل شيء .. يعبس وجه عادل .. يبدو حزينًا مريضًا .. يرمينى بسهام نظرات عتاب تكوى جنبى .. أقترب منه أحاول لمسه ومواساته لكنه يهرب مبتعدًا .. أقترب وأقترب ، ويبعد .. أناديه ، أجرى خلفه ، وهو يبعد حتى يتلاشى ويختفى فأنهض من نومى أدفع كابوسا ثقيلاً عن صدرى .. وأبقى طوال يومى بعد ذلك منهكة القوى .. حزينة النفس .. مكدودة العقل .



في المساء

اتصلت بى كريمة هاتفيا ، واقترحت أن أبيت معها الليلة حيث أن سوسن وشادية سيخرجان للاحتفال بسهرة رأس السنة ، وهى لا تحب استقبال العام الجديد وحيدة .

رحبت بالفكرة ، فأنا أيضًا أكره أن أقضى مناسبة كهذه فى مواجهة أربعة جدران ، ولا أحد يتمنى لى سنة سعيدة .

عندما وصلت ، كانت شادية وسوسن على أهبة الاستعداد للخروج . سوسن مرتدية جلبابا فلاحيا أخضر اللون . . وعلى رأسها منديل مزركش وطرحة . . وقد كحلت عينيها . . ورسمت وشما على ذقنها . . وحلت صدرها بكردان مذهب وعنق ساقها بخلخال . . بدت لى كلوحة متنقلة لفنان مصرى أصيل ، قلت لها مبتهجة :

- تبدين رائعة ، إلى أين ؟

طبعت قبلة على خدى ، وقالت وهى تنصرف على عجل :

- مدعوة إلى حفلة تنكرية ، يا إلهى لقد تأخرت .

أما شادية ، فكانت ترتدى ثوبا أسودًا مرصعًا بالأحجار اللامعة عارى الصدر والظهر مشدودًا على جسمها يظهر كل فتنة قوامها . كان واضحًا جدًا أنها اشترته من أحد محال سان فرانسيسكو الباهظة الأسعار ، عندما رأتنى أدخل ، رمتنى بنظرة احتقار . . ثم استدارت نحو المرآة ترسم طبقة من أحمر الشفاة فوق شفتيها .

وأخيرًا سارت وكأنها تتمايل على أنغام حالمة . . سحبت معطفها . . وهمست «باى» دون أن تنظر إلى وجه أحد منا ، وخرجت .

كنت فى قمة الذهول وأنا أقارن فى مخيلتى بينها وبين صورتها عندما قابلتها فى الكافيتريا أول مرة . لم أفهم كيف يمكن لشخص أن يتحول إلى هذه الدرجة .

همست لى كريمة بأسى :

- مسكينة شادية ، لكم أشفق عليها . . لن تصدقى لو قلت لك أن والدها مدرس تربية دينية فى مدرسة لغات . أنا أعرفها من مصر ، زرتها فى بيتها ، وأعرف كيف كانت تعيش وسط أسرة شديدة التعصب للتقاليد والدين . لا أستطيع أن أفهم هذا الانقلاب الذى حدث لها هنا ، لقد كانت تعيش فى مصر حياة عادية جدًا كأى فتاة من أسرة متوسطة . . حتى عملت فى أجازة الصيف الماضى بمكتب استيراد وتصدير لأنها تجيد الإنجليزية ، وأصبحت تنفق كل مرتبها على مظهرها ، فتبدو من طبقة غير طبقتها . . ومن بيئة غير بيئتها . . وكانت تشكو لى دائمًا من القيود التى يفرضها والداها على تصرفاتها . حتى جاءت الفرصة، كان مديرها مسافرًا إلى أمريكا فى رحلة عمل ، وطلب منها أن تصحبه لتقوم بدور المترجمة . وسافرت رغم معارضة أهلها . . وعاد المدير ولم تعد هى . . بقيت لتعيش كما ترينها ، وهى ترفض أى نصيحة من أحد .

ثم تنهدت فى حسرة :

- أنا قلقة جدًا عليها ولا أدرى ماذا أفعل لها .

قلت محاولة أن أكون عملية :

- أتركيها للزمن يعلمها .

بعدها قمنا وأعددنا لأنفسنا أطباق العشاء . تكلمنا وضحكنا وشاهدنا استعراضات رائعة على شاشة التليفزيون ، حتى قاربت عقارب الساعة منتصف الليل ، عندئذ قالت كريمة كأنها تتذكر :

- تعرفين يا سلوى ، حتى المصائب فى الدنيا لها أحيانا فوائدها .

كنت أنتظر منذ فترة أن تحكى لى كريمة عن نفسها . . فلقد كانت الوحيدة من بين المجموعة التى لم تفتح لى قلبها .

ومع أنى كنت أنتظر هذه اللحظة ، إلا أنى لم أحاول أن أتعجلها ، بل تركتها تختارها بنفسها فى الوقت الذى يريحها . وأخيراً قالت :

- أول ما تزوجت كمال . .

وهنا خرجت منى شهقة عفوية من جراء المفاجأة ، قلت :

- هه ، هل أنت متزوجة ؟!

هزت رأسها بأسى :

- نعم كنت متزوجة لمدة ثلاثة أشهر فقط .

ثم تنهدت بحزن وأسف :

- لن تتصورى يا سلوى مدى الخسارة التى قد تقصم كيانك وتدمر نفسك حينما تصدمين فى إنسان كان يمثل بالنسبة لك كل المثل العليا فى الحياة .

كان كمال بالنسبة لى هو المثالية مجسمة فى نوع نادر من البشر. عندما كان يقف أمامنا فى قاعة المحاضرات يحاضر لنا . . كنت أتصوره أرسطو أبا الحكمة والفلسفة . . أما بنيانه ، فكان خيالى يصوره إلها إغريقيا موفور الصحة متماسك العضلات . وعندما يشرح ، كنت أراه قائداً سياسيًا عملاقًا لا يقل عن ديجول ولا يختلف عن إيزنهاور . وكنت أتحين الفرص بين المحاضرات لأزوره فى مكتبه ، أدعى أن هناك نقاطا أحتاج فيها مزيدا من الإيضاح والشرح . وكنت أتعمد التفانى فى دراسة مادته ، أعود إلى كل المراجع الموجودة فى المكتبة . . أحضر الدرس قبل أن يشرحه . . وكنت الوحيدة من بين كل الطلبة والطالبات القادرة

على مناقشته والرد على أسئلته . . وبذلك استطعت أن ألفت نظره وأستأثر إعجابه دونا عن الجميع وأصبحت دعواته لى تتكرر لزيارته فى مكتبه . . ثم بدأت أطلبه فى التليفون وبدأ هو لا يتناول إفطاره إلا بصحبتى . أخذنى إلى كل الكافيتريات الفاخرة فى القاهرة ، وأخيراً استقر بنا المقام فى مكان واحد هادئ نلتقى فيه كل صباح . أيامها كنت أشعر أنى أكثر نساء الأرض حظًا وسعادة . . وعندما بدأت الأجازة الصيفية ، ونجحت بتفوق منتقلة إلى السنة الثالثة . كان الدكتور كمال قد أصبح لا يطيق بعدًا عنى يوما واحدًا .

حكى لى عن ظروفه الخاصة ، اعترف بأنه متزوج وله أولاد . . وأن زوجته مريضة ضعيفة لا يستطيع أن يتخلى عن واجبه فى أمر رعايتها . . وحكى لى عن تضحياته وكفاحه مع الحياة . وكيف أنى الشىء الوحيد الجميل الذى عرفه طوال حياته .

وكانت مهمة أن أقنع والدىّ بفكرة الزواج منه شبه مستحيلة . . فمسألة زواجى من رجل متزوج وله أولاد حتى لو كان عبقريا كانت تقابل بالاستياء والرفض من كل من أعرف .

أما بالنسبة لى ، فكنت متمسكة بزواجى منه حتى لو كان متزوجا من نصف نساء مصر ، لقد كنت أحبه بجنون .

وفجـأة سكتت وبدأت الدموع تنهمـر من عينيهـا ، أول مرة أرى وجه كريمة حزينا متألما إلى هذه الدرجة . كانت تعانى لتكمل القصة :

- تصورى ، تصورى يا سلوى . . بعد ثلاثة أشهر فقط من زواجنا . . وبعد أن قـاطعت أهلى . . وخاصمت أصـدقائى . . وقبلت أن أسكن معـه فى بنسيون . . وجدت ذات صـباح أسود امرأة مـوفورة الصحة ، شـديدة البنيان تدق علينا باب الغـرفة ، وتصب علينا كل أنواع الشـتائم واللعنات . . تصف كمـال بأقذر الأوصاف ثم تشده من صدر بيجامته لينزل أمامها فى الطريق العام حافيا .

وهنا علا صوت بكاء كريمة حتـى تحول إلى نحيب متشنج . كان جسـمها كله يرتعش . . وهى تخفى عـينيها بيديهـا كأنها لا تريد أن ترى الصورة البشعـة لكمال ، ضعيفة مهانا مـستسلما ، كان صوتها يـتقطع ويختلط بدموعها كـأنها تنعى موت نبى عظيم وهى تقول :

- تكسـر تمثـال الإله يا سلـوى .. تحطمت الأسطورة .. كنت أفضل الموت ولا أراه كما رأيته يومها جبانا ضعيفا كاذبا .

قمت من مقعدى وأخذت رأسها فى صدرى ، كانت ترتجف كطفل سقط فى البحـر فى ليل شتاء . صحبتـها إلى سريرها .. غطيتها بملاءة .. جلست إلى جوارها وأمسكت يدها .. قبل أن تغـيب فى النوم ، فـتـحت عينين هـزيلتين وهى تنظر فى عـينى وتهمس :

- لو كان الكذب رجلا لقتله !



عندما صحونا من النوم جميعًا ، كانت الساعة قد جاوزت الظهيرة بمدة طويلة . قالت شادية أن معها سيارة صديقها ، واقترحت أن نخرج جميعًا لنقوم بجولة . . أعددنا بعض المأكولات الخفيفة وأخذناها معنا وخرجنا . كان الجليد يغطى كل شىء . . قامت شادية بقيادة السيارة ، قالت أنها ستصحبنا إلى الجانب الآخر من من المدينة ، بعد أن نعبر أطول كوبرى فى العالم «الجولدن جيت». كانت المناظر طوال الطريق أكثر من رائعة ، المرتفعات والأشجار المغطاة بالثلوج والبيوت الجميلة المتناثرة هنا وهناك بفن وتنسيق بديع . . ومنظر المحيط من العلو الشاهق للكوبرى كأنه شريط فضى ، وعلى ضفتيه تمتد أحياء كاملة .

قالت كريمة تستفسر شادية :

- ولكن هذه السيارة مختلفة عن التى كان يستعملها صديقك العجوز ، هل غير الموديل ؟

ضحكت شادية ضحكة ساخرة وهى تقول :

- لا ، أنا التى غيرت الموديل .

ولأنهـا لا تكف عن إذهالنا ، نظرنا ثلاثتنا إلى بعـضنا وقلنا فى صوت واحد :

- كيف !!

هزت كتفيها بدلال مستهتر وهى لم تزل ممسكة بعجلة القيادة:

- أبدًا ، وجـدت أن سلوى عندها حـق ، لماذا أبيع نفـسى لرجل عجوز حتى لو كان ثريا . فى سـهرة الأمس اكتشفت أنى أساوى أكثر من ذلك بكثير ، لقد صحبنى ذلك العجوز إلى حفلة صاخبة فى أحد قصور سان فرانسيسكو . لن تصدقن عيونكن لو شاهدتن كل هذه الفخامة والثراء والجـمال . . من غير المعقول أن يكون هناك بشر يعيشون فـى كل هذا البذخ . . موسيقى ورقص وأغلى أنواع الشـراب والطعام ، المدعـوات أجمل وأشيـك نساء أمريكا . . الرجال كلهم يشبهـون ممثلى السينما . . كأنها ليلة من ألف ليلة وليـلة ، والغـريب أنى وجـدت المعـجـبين بجـمـالى بالعشرات، هذا يطلبنى للرقص ، وهذا يحضر لى شرابا ، وذاك يعد لى طبق الطـعام ، والآخر يصـحبنى فى جولة بالحـديقة . . وأوسمهم ينحنى ليـقبل يدى ، أما صاحب القصر فـقد مال على أذنى وهمس لى بكلمة غزل أحمر لها وجهى .

ثم أطلقت ضحكة طويلة ، وهى تداعب خصلات شعرها بنرجسية :

- لم أكن أعرف أنى جميلة إلى هذه الدرجة ، لقد جنوا بى . . تصورن ، المجانين كانوا يتهامسون كلما مررت وسط مجموعة منهم وأسمعهم يقولون «أنها أميرة أسبانية» .

ضحكنا ساخرات . ولكن سوسن قالت تؤكد لها ظنها :

- معكم حق يا شادية ، ثوبك بالأمس كان رائعًا ، وجمالك كان فوق العادة .

ثم ضحكت بخبث وهى تعاكسها قائلة :

- وعلى رأى المثل «لبس البوصة تبقى عروسة» .

وتعالت أصوات ضحكاتنا :

قاطعتنا شادية لتكمل إفصاحها عن خطتها الجديدة :

- المهم أنى خرجت فى نهاية السهرة بالغنيمة الكبرى . . الرأس الكبيرة ، ابن صاحب القصر شخصيًا . شاب وسيم كأنه كلارك جيبل فى قمة مجده . . وصاحب أكبر سلسلة من المطاعم فى كل الولايات المتحدة ، والمفاجأة الكبرى أنه عيننى السكرتيرة

الخاصة لمكتبه . . وقبل أن أنصرف سألنى عن سيارتى . . فأجبته والحزن البالغ مرسوم على وجهى :

- «آه ، ليتك لم تذكـرنى ، لقد تكسرت الأسـبوع الماضى فى حادث مروع» . .

فما كان منه إلا أن أظهر شهامة توقعتها وقالت وهو يفتح لى باب إحدى سياراته التى يمتلئ بها جراج بأكمله ، ويضع فى يدى مفاتيحها :

- يمكنك أن تستعيرى سيارتى إلى حين شرائك غيرها .

عندئذ تعالت همساتنا من شدة المفاجأة .

قالت سوسن : أنت خطيرة .

قالت كريمة : يا لك من شيطانة .

وقلت أنا : لا أحب هذا الأسلوب .

وبدت لى شادية غير منصتة لصوت أحد .



غـداً

نعـود لاستـئـناف الدراسـة . أشـعـر بسـعـادة بالغـة . بدون كـتبى ودراسـاتى أشعـر أن أيامى خـاوية . . وأن عـقلى صـائم . . وأنى عـديمة القيمة والفائدة .

فى الأيام الثلاثة الأخيرة لم أتصل بأى من الفـتيات الثلاثة . أردت أن آخذ اسـتراحـة اختلى فـيهـا إلى نفسى . . تعـبت من مشاكلهن وانغماسهن فى تفـاهات الحياة . . عرفت قيمة أن يكون للإنسان مـبدأ ورسالة يصب فيـهما مـعظم جهده وتركيـزه ، فلا تستدرجة الإغراءات السريعة العابرة فـتضيعه ويصبح هو نفسه بلا امتداد .

رن جـرس الهـاتف ، توقـعت أن تكون إحـداهن تدعـونى للخروج . . رتبـت الرد فى ذهنى بالاعتذار ، رفـعت السمـاعة وكانت المفاجأة ، ارتفع صوتى مهللا من الفرحة :

- أمى . . أمى ، افتقدك كثيراً .

وتوالت ردودى :

- أبدا أنا بخير .. صدقينى .. أنا فى خير حال .. اطمئنى يا أمى .. ادعى لى .

ثم انتقلت السماعة ليد أخرى .. سمعت صوته .. يا إلهى.. أنه عادل ، وصلته برقيتى ، لقد غفر إذن ، لم يزل يحبنى .. لم يقل لى أحبك .. ولكنه صوته ، لهفته ، قلقه ، طلبه لى بالتليفون ، كل هذا قال لى ألف مرة أحبك .. أحتاجك .. أنتظرك .

هتفت من أعماق قلبى قبل أن تنتهى المكالمة :

- عادل سأعود بعد أربعة أشهر ، انتظرنى .. انتظرنى يا عادل .

وانقطع الخط .. وبقيت أنا ممسكة بالسماعة لا أريد أن أعيدها إلى مكانها ، وكأنى بذلك أقرب المسافة البعيدة بيننا .

عجبت بعدها لنفسى ، لماذا قلت لعادل أنى سأعود بعد أربعة أشهر ؟! لم يكن ذلك فى تخطيطى .. صحيح أن دراستى

ستنتهى فى شهر مايو . . ولكن أمنيتى كانت أن أعمل بعدها فى مركز البحوث الاجتماعية بواشنطن العاصمة . . أشهر وأكفأ مركز فى العالم .

فهمت من هذا الموقف البسيط ، أنى لم ولن أتغير مهما حدث ومهما طال الزمن ، سأبقى أبدًا منقسمة على ذاتى . . جزء منى يهفو إلى الاستقرار إلى جانب زوج وأولاد . . والجزء الآخر يجنح بقوة نحو الحرية والاستقلال وارتياد المجهول واكتشاف الصعب . . ولا أجد سبيلا للتوفيق بينهما !!

❁ ❁ ❁

رايت

«توم» فى أول يوم لرجوعنا للدراسة ، حاولت أن أظهر له أنى لا أحمل له مشاعر بغض معينة.. وأن ما حدث ليس معناه أنه سيء الخلق ولكنه مجرد فارق عقائدى بيننا . اقتربت منه وابتسامة عريضة تعمدت رسمها على وجهى ، حييته بمرح : هاى توم .

والغريب أنه عبس فى وجهى ، وابتعد عن طريقى دون أن يجيب تحيتى ، ضحكت فى نفسى ولم أغضب منه . كنت قد قررت فى هذه الفترة من العام الدراسى أن أتبع أسلوبًا جديدًا فى التعامل مع الطالبات والطلبة .. سأكون أكثر انفتاحًا وتداخلاً معهم .. كنت قد اقتنعت بأن الثقافة والخبرة لا نكتسبها من الكتب وحدها .. ولكن جزءًا كبيرًا منها مخزون فى نفوس الناس.. لابد أن نبحث عنه ونخرج منه ما يعلمنا ويفيدنا .

❁ ❁ ❁

مساءً

عـدت من مكتبة الجامعة متأخرة ، وجدت سوسن جالسة على سلم منزلى تنتظرنى . انزعجت لمظهرها ، تصورت أن حادثا ما قد وقع لها . . لكنها طمأنتنى بأنها فقط تحتاج للحديث معى فى موضوع خاص . . فتحت لها الباب ودخلنا . كنت متعبة بعد يوم طويل من الدراسة ، فكل ما كنت أخطط له وأنا عائدة لشقتى أن أتناول طبقًا من الحساء الساخن أمام شاشة التليفزيون ثم أنام مبكرة .

عرفت أن مقابلة المصريين فى الخارج ليست دائمًا حادثًا يدعو للسرور والتفاؤل . . فأول عيب لهم هو عدم احترامهم لخصوصياتك ، أما الثانى فهو كلامهم عن بعضهم وحسدهم الذى لا يقف عند حد .

تكلمت سوسن وكانت تبدو فعلاً قلقة متحيرة وهى تقول :

- سلوى ، لا أفهم هذا الذى يحـدث لى . . أعجز عن أن أجد له تفـسيرًا أو تـسميـة ، تصورى خطيبى يبـعث لى كل يوم خطاب ، يدعونى لألحق به فـى البلد الذى يعمل به . . فحـالته المالية أصـبحت متيسـرة ، ولم تعـد هناك مشكلة تدعو لتـأجيل زواجنا .

سررت لأجلها ، وأسرعت أقول :

- أخيرًا ، الحمد لله ، ألف مبروك ، ما المشكلة إذن ؟!

قالت وهـى تدعـك يديها فـى حيـرة وتمضى ذهابًا وإيابًا فى قلق :

- المشكلة أنى . .

وانحبس صوتهـا . . وبدت لى الدموع لامعة فى عـينيها ، قلت جزعة :

- أنك ماذا ؟

نطقتها بعد جهد ومعاناة :

- أنى أحببت رجلاً آخر .

شهقت للمفاجأة . . وقلت بدهشة :

- متى ، ومن ؟

قالت وهى تمسح دموع حيرتها :

- ليس مهما من يكون . لكن الكارثة أنه شخص لن يكون لى معه أى مستقبل .. فهو من غير دينى طبعًا .. وفوق ذلك لا يعترف بنظام الزواج ويقول عنه أنه نظام رجعى متخلف .. والذى لا أستطيع فهمه هو كيف يمكن أن أحب طارق وألكسندر فى نفس الوقت .

قلت وأنا أعى حجم الكارثة :

- وماذا أحببت فى ألكسندر ؟

قالت وهى تبدو مسحورة :

- عقله ، لقد سحرنى ذكاؤه .. سعة اطلاعه .. يعرف كل شىء عن أى شىء .. لن تصدقى أننا نجلس لساعات فى مكتبه نتناقش .. نتحدث فى السياسة .. فى التاريخ .. فى الدين .. أحيانًا كنت أحتد ويعلو صوتى متمسكة برأى .. وهو دائمًا هادئ، صوته منخفض ، يغلبنى بالحجة والعلم فأخجل من تعصبى الجاهل ، أسكت وأسمعه وأتعلم منه .

أضافت تكمل وصفه :

- أول مرة يا سلوى ، أقابل رجلا يعاملنى كعقل . . ندًا لند . فمعظم الرجال الذين قابلتهم ، حتى هنا فى أمريكا ، ينظرون للمرأة على أنها إما جسد أو طفلة أو عبدة .

قلت طالبة مزيدًا من الإيضاح :

- وبماذا كان ينظر لك طارق ؟

قالت بانفعال :

- بأنى أمه .

ضحكت ساخرة .

- أنت ؟!

قالت بنبرة متمردة :

- نعم ، تصورى . . الآن فقط عرفت ماذا تغير فى شعورى تجاهه . . اكتشفت أنى لم أحب أبدًا الدور الذى أرغمنى طارق على لعبه طوال هذه المدة . . فعلى الرغم من أنه يكبرنى بأعوام قليلة . . إلا أنه كان يشعرنى دائمًا بأننى استمرار لأمه . .

أو صورة مكررة لها .. يريد منى نفس التدليل الذى كانت تدلله له .. نفس الاعتماد الكامل فى كل ما يخص مأكله ومشربه وملبسه ومشاكله الصغيرة اليومية .. حتى أفكاره عن الحياة ورؤيته للأمور العامة لم تكن ناضجة .. بل كانت فى كثير منها مشوشة .. لا أذكر أبدًا أنه ذهب إلى مكتبة واشترى كتابا وقرأه.. ليس له هواية خاصة ، رياضة .. شطرنج .. أى شىء.. أنه من ذلك النوع من الرجال الذين يبحثون عن المتعة السهلة فى الحياة : الجنس والمال ..!

قلت وقد سحبتنى إلى عمق مشكلتها :

- وكيف تقولين أنك ما زلت تحبينه .. حسب وصفك أنتما مختلفان تمامًا .

قالت وقد أنهكها الصراع :

- ليست تمامًا .. المشكلة أن طارق به بعض الصفات الأخرى التى أحبها جدًا .. فهو عطوف حنون طيب غيور كريم.. أما ألكسندر فعواطفه عملية عقلية الحب عنده ككل شىء آخر فى حياته مبنى على الحرية الكاملة .. لا إلزام ولا مسئولية ولا ارتباط دائم .. فأنا مثلاً حسب رأيه - حرة فى حبه ، أراه

ولا أراه . . أصادق رجالا غيره أو أكتفى به وحده . أسافر وقتما أشاء مع من أشاء . . لا أنا مسئولة عنه ولا هو مسئول عنى . . لا أحاسبه ولا يحاسبنى . . فكل ما يهمه إنى فى اللحظة التى أختار أن أكون فيها معه ، أكون له كاملة خالصة ، بعقلى وجسمى ووجدانى ، ولا شىء غير ذلك .

ولم أدر ماذا أقول لأريحها . . فلم أكن أجيد توجيه النصائح . . كل ما أجيده هو الإنصات بإخلاص والانفعال مع الراوى بكل ذرة من عقلى ومشاعرى .

باتت سوسن ليلتها عندى . . بقينا طيلة ليلتنا نتحدث . ونتباحث . . ولم أكد أغفو عند خيوط الفجر الأولى . . حتى رن جرس المنبه يعلن عن موعد قيامى للذهاب للجامعة ، ولأول مرة أضيع يوما دراسيا كاملا . . وأظل نائمة حتى الظهر ، ورأسى يكاد ينفجر من الصداع والتعب .

❁ ❁ ❁

لم اعد

أقابل الفتيات غير يوم واحد فى الأسبوع . عودتهن أن لا زيارات ولا مكالمات غير يوم السبت أو الأحد. تمسكت بأن يحترم الجميع نظام دراستى .

❁ ❁ ❁

ليس لدى الوقت لكتـابة مـذكراتى . . فـعندى بحث طويل معـقد وصعب لابـد أن أقدمه قـبل نهاية الشهر . أشعر أنى بقرة تدور فى ساقية .

❁ ❁ ❁

اول

مرة أقابل الفارسات الثلاثة منذ أسبوعين تقريبًا. . ذهبنا لتناول الغذاء فى مطعم على البحر . . كان الجليد لم يزل يغطى الشـوارع والمنازل . . كانت مـفاجـأة لى أن أرى كـريمة وقد ارتدت مـلابس الحجـاب ولكن بطريقة عصـرية متطورة قالت أنـهم فصلوها من الفندق الذى كانت تعـمل به اعتراضًـا على غرابة ملبسـها . مع ذلك كانت تبتسم ببشاشة وهى تقول :

- ربما يوفـقنـى الله وأحـصل على وظيـفـة فى القـنصليـة المصرية.

ابتسـمت لها بحـب . . فلـقـد كانت أقربهن إلـى نفسى . قلت لها :

- صفى لى شعورك وأنت ترتدين الحجاب لأول مرة .

قالت وجمال داخلى يغلف صورتها :

- أشعر أنى وهبت نفسى لمن يسـتحق . . أعطيت حبى لـمن

لا يخون ولا يغدر ولا يكذب . لأول مرة أشعر أن عطائى ذاهب فى الاتجاه الصحيح ، حيث البناء الكامل .

فرحت من أجلها . . رائع أن يجد الإنسان الحقيقة ويعيشها عن عقيدة واقتناع .

دخلت شادية بيننا كالشيطان الرجيم . . قالت وهى تشد ذراعيها فى تمطع كسول :

- أنتن يا بنات والله تضيعن أجمل أيام العمر والشباب تصديقًا لأوهام . . ما أدرانا أن هناك حياة أخرى وحسابًا آخر ، ما الضمان وأين الدليل . هذا الكلام سياسى يضحكون به على الساذجين ، لتصبح الشعوب سهلة القيادة وأكثر تطويعًا وطاعة . والدليل أن الغرب لم ينطلق ويتقدم إلا بعد أن نحى جانبًا مسألة الدين . أما أنا ، فلا أرى أجمل من أن يعيش الإنسان يومًا بيوم . . حتى علاقاتى نظمتها على هذا الأساس . . كل يوم رجل جديد . . ثوب جديد . . رحلة . . سهرة . . مفاجأة . . ضحكة . . هكذا نعيش دوما حياة طازجة متجددة ونبقى شبابا على طول .

ردت كريمة يا شادية لك قول الرسول الكريم : لكم دينكم

ولى دين . وكل إنسان يجنى ثمار ما زرع دنيا وآخرة .

استفزنى كلام شادية فاضطرت إلى الانضمام للمناقشة. قلت:

- تخطئين يا شادية لو تصورت أن سبب تقدم الغرب هو نكرانه للدين . . على العكس . فسوف تثبت لك الأيام - لو كان لك عمر - أن سقوط الغرب سيكون أساسه الابتعاد عن القيم الدينية ، والبشائر واضحة من الآن . . أمامك ضياع الشباب . . حتى العلماء الاجتماعيون يحذرون فى عشرات من الأبحاث المنشورة عن خطر غياب الروحانيات والقيم الدينية .

أما سوسن فقد علقت على حديثنا وهى غارقة فى طبق الأسباجتى :

- أنا شخصيًّا أمسك العصاة من الوسط ، أحب الدنيا وأحب الدين مثل بعضهما البعض .

ضحكنا جميعًا لقولها . . وبدأنا نغرق فى أطباق طعامنا .

❁ ❁ ❁

لم يعد

عندى الحماس لمواصلة كتابة مذكراتى .. بل بدأت أسأل نفسى لماذا تعبت وكتبتها أصلا .. يبدو أن عدم احتياجى للتسجيل معناه أن غربتى تبددت وأنى أصبحت ترسًا منسجمًا مع العجلة الدائرة .

❁ ❁ ❁

وقعت تحت يدى جريدة مصرية بالصدفة . كان تاريخها قديمًا يعود لشهر مضى . قلبت صفحاتها ببعض الفضول ، فوجئت بصورة طفل منشورة بالحجم الكبير فى صفحة الحوادث . . كان العنوان العريض يعلن عن جريمة قتل متهم فيها طفل بقتل أمه ، لأنها كانت تستعد للزواج بعد موت أبيه . كنت أركب المترو عندما صرخت بلا وعى فى الرجل الأمريكى الجالس جوارى :

- سعيد قتل أمه !!



صحوت

فى منتصف الليل على صـوت خبط مرتفع على الباب . فـتحته فى فـزع . . دخلت منه سوسن فى حالة انهيار وهيستـيرية . لـم أفهم ما بها . . كانت تنتحب وتتشنج وتنتفض بكاءًا وصراخًا . . بصعوبة بالغة التقطت منها بضـعة كلمات متناثرة . . متقطعة . . كل ما اسـتطعت تجميـعه كلمات مـثل : الخائنة . . الحقـيرة . . سـأقـتلهـا . . ألم يكفـهـا كل رجـال المدينة . . حـتى هو . . استكثرته على يا سلوى . سأمزقهـا الحقيرة السافلة وظلت تتشنج وتبكى حتى غابت فى نومه كالإغماءة القصيرة .

شعـرت بالغثيـان والاشمئـزاز وأنا أتخيل مـشهد الخـيانة . كسرت كوب الماء على الأرض وأنا أهتف بغضب :

- حتى ألكسندر يا شادية !!



انقضـت

أربع سنوات كـاملة على آخر مـرة كتـبت فيـها مذكـراتى . وجدت كراستى بالصـدفة وأنا أرتب إحدى خزائنى . عجبت لكل هذه اللحظات . . والتفصيلات التى سجلتها ، كأنى أقرأ عن إنسانة أخرى عـرفتها يومـا ونسيتهـا . أشياء كـثيرة تغيـرت خلال هذه السنوات الأربعة . . أشعـرتنى فيها إعـادة قراءة هذه المذكرات أن العمر كالهواء يدخل رئتـينا ويخرج منها غفلة ونحن لا نكاد نعى له، ولا أدرى إن كنت أندم أم أفرح لأنه ينقضى ؟!

أربع سنوات فـقط ، وكـأنهـا عمـر بأكـمله من الأحـداث والتـحولات . كـريمة ، تزوجت من مـدير المركز الإسـلامى فى واشنطن . . أنجبت ولداً وبنتًا وقد كرست حيـاتها لمشاركة زوجها فى نشر الدعوة الإسلامية فى أمريكا .

سوسن ، تزوجت طارق ، وهى تعيش مـعه الآن بالسعودية كلما قابلتها أثناء أجـازتها السنوية بدت لى تائهة تبحث عن معنى مفقود .

أما شادية ، فلا أحد يدرى إن كانت ماتت منتحرة أم مقتولة فملف قضيتها لم يزل محفوظا فى محاكم سان فرانسيسكو .

أما أنا فلم أزل أكثر باحثات المركز نشاطًا وجهدًا . . لكن رغما عنى أتوقف من حين لآخر لأنظر حولى وأتأمل حال البلد فاكتشف أنى أنفخ فى قربة مقطوعة ، فيصيبنى الإحباط وأكاد أغرق في اليأس ، لكنى أقاوم وأواصل وأخلق لنفسى أملاً من عدم .

أما عادل ، فلقد تزوجته أخيراً ، وأنجبنا طفلة هى أجمل ما فى حياتى . . والغريب أن صفة الاسترجال قد انتفت عنى بعد أن تزوجت وأنجبت مع أن شيئًا لم يتغير فى شكلى ولا فى سلوكى . أستطيع أن أعتبر عادل زوجًا مثاليًا وأن زواجنا بمختلف المقاييس زواج ناجح ، ولكن داخلى لم يزل منقسما على ذاته . . جزء منه يهفو للاستقرار . . والجزء الآخر يجنح بقوة نحو الحرية والاستقلال وارتياد المجهول واكتشاف الصعب .

❁ ❁ ❁

تعريف بالكاتبة

- **عائشة عبد المحسن ابو النور** : من مواليد القاهرة .
- حاصلة على ليسانس الصحافة فى كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٧٤ م .
- عينت صحفية بمؤسسة أخبار اليوم الصحفية فى يناير ١٩٧٥ وما زالت تعمل بها إلى اليوم .
- اشتركت فى العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية المختصة بمجالات القصة والرواية وأوضاع المرأة الاجتماعية والثقافية فى الوطن العربى .
- عضو بنقابة الصحفيين ، واتحاد الكتاب ، وجمعية الكاتبات المصريات .

- ترجمت بعض أعمالها إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

- حصلت على جائزة أفضل كتاب فى الأدب الوجدانى عن كتابها «نبض امرأة» فى معرض القاهرة الدولى للكتاب سنة ٢٠٠١ .

- حصلت على جائزة أفضل تغطية ثقافية من نقابة الصحافيين عن عام ١٩٨٩ .



قالوا عن المؤلفة

- مؤلفـة هذه الرواية (**مسافر في دمي**) لا تسيـر بالقارئ في طريق واضح المعالم . إنما تقفز به كالعصفور . فالعصفور لا يسير بل يقفز .

وبعـبارة أخـرى ، فـإن أسلوب النثر القـصصى إذا كـان هو المشى . . فإن أسلوب هذه الرواية القصيرة هو القفز . . فعباراتها فراشات تقفز فوق زهور .

«توفيق الحكيم»

- إن أسلوبها الرومـانسى هو مزيج من النثر والشعـر المنثور . . استخدمته حتى فى القصص ذات الأفكار الواقعية .

«نجيب محفوظ» - آخر ساعة

- مركز الدائرة فى عالم عائشة أبو النور هو ثنائية رجل / امرأة من منظور الأخيرة . العالم يدور على الحب . . والصراع . . والحرية . . وتحقيق الذات ، بالرغم من كل العذابات .

«الدكتور صلاح فضل»

- تبقى عائشة أبو النور مثالاً فريدًا فى الجمع بين العمق الفكرى، والسلاسة فى التعبير . إنها تطل على العالم بعقل متوهج بعذابات المعرفة، وتكتب بوجدان متألق بهموم البشر .

«محمد زهدى» - جريدة الأنوار

- إن الذى يمنحك الفرح ، هو الذى يغرس فى أعماقك المعاناة والحزن أيضًا ! وهذه الكاتبة - بحروفها ، وبكلماتها ، وبتعبيرها - تمنحك هذا الفرح وأنت تقرؤها - فى اللحظة التى تغرس فى أعماقك المعاناة والحزن وأنت تفهمها . وهى كاتبة تشترى الحقيقة بمعاناتها ، وهاجسها هو التوحيد مع بصمة الإنسان .

«عبد الله الجفرى» - جريدة عكاظ

- إن استخدام البطلة (**قصة المتمردة**) لأدوات تجميل جسمها وتصفيف شعرها فى كسر القيد ، وفتح ثغرة حتى بأظافر يديها . . يحمل إلى القارئ الإحساس بأن قوة الجمال ليست فى التأنق . . ولكن هى فى قدرة هذا التأنق على أن يتيح لصاحبته أن تعيش فى طلاقة ، وذلك أمر لا يتأتى إلا بأن تنتزع حريتها .

«أحمد رشدى صالح»

- . . . ولا عجب أن تبتعد عائشة عن صيغ القص التقليدية التى تقوم على تغييب الذات وفرضية اكتمال المعنى فى الماضى، وتفضل صيغة المخاطبة الدرامية التى تعتمد على الصراع بين الذات والآخر . فهى كاتبة تمارس الكتابة كفعل ثورى وجودى . على نهج الوجوديين الذى يحمل أدبها ملامح عديدة من فكرهم وموقفهم من العالم .

«الدكتورة نهاد صليحة» - الأخبار

- وهنا نصل إلى جوهر ما تصبو إليه عائشة : إنها الحرية ! فالحرية لديها ليست نقيض القيد ، وليست بديل السجن . الحرية ضرورة ، ووظيفة من وظائف الحركة . ليست الحرية أن تفعل ما تريد ، ولكن أن تعرف ما تريد . هذا هو ما يحرك عائشة طوال رحلتها .

«أحمد إسماعيل» - مجلة إبداع

- عائشة أبو النور تذوب مع الحرف ، وتعانق الكلمة ، وتفتح مسام وجدانها وقلبها لأخطر مغامرة فوق الورق . لأن عائشة تصوغ عباراتها بحبر القلب !

«مفيد فوزى» - مجلة صباح الخير

- تقدم لنا عائشة أبو النور معزوفات ومحاورات.. صور .. لقطات .. مواقف عابرة أو مؤثرة .. لحظات تقيمها داخل مقطوعة حوار . ترسم لنا صورة امرأة ناضجة ، مرهفة الحس والمشاعر ، تملك عقلاً وعملاً ورؤية للعالم .

«فوزية مهران»

- في مجموعتها (**عشرون قصة وإمرأة واحدة**) تقتحم عائشة أبو النور الواقع المعاصر بروح المغامرة الجريئة التى ترفض الاستسلام للصمت . وهى تمتلك القدرة على إلتقاط المواقف السلوكية اليومية ، وتفكيك عناصرها إلى جزيئات لتستقى تفاصيل التجربة الإنسانية بعمق يبحث عن حقيقة الإنسان المتطلعة إلى الجمال والخير .

«الدكتور غازى عوض الله» - جريدة البلاد

صدر للمؤلفة

★ عشرون قصة وإمرأة واحدة .

★ إرحل لنلتقى .

★ نبض إمرأة .

★ الحب من قبل .. ومن بعد .

★ روايتان : مسافر فى دمى

والإمضاء .. سلوى

★ قالوا لى: عن المرأة.. الحب.. الحرية.

استمارة استبيان

عزيزى القارئ .. عزيزتى القارئة :

فى اعتقادى الشخصى أن وسائل الاتصال بين الكاتب والقارئ نادرة فى ظروفنا الحالية . ولمزيد من التواصل بينكم وبينى يمكنكم ملء هذه الاستمارة وإرسالها مع ما قد تتضمنه مقترحاتكم وآراؤكم القيمة للوصول إلى الحميمية المنشودة ، وبدورى سوف أقوم بإرسال كتاب لى من اختياركم حبًا وتقديراً لكل صاحب رسالة تصلنى ، وذلك على العنوان التالى :

مؤسسة أخبار اليوم

مجلة آخر ساعة

عائشة أبو النور

الاســـم : ....

الســـن : ....

المهنـــة : ....

الحالة الاجتماعية : ....

العنوان : ....

١ - هل قرأت شيئًا من أعمالى الأدبية قبل هذا الكتاب ؟

نعـــــم ☐ لا ☐

٢ - كيف تحصل على كتاباتى الأدبية ؟

باعة الصحف ☐ المكتبات ☐

معارض الكتب ☐ الأصدقاء ☐

٣ - هل يتم تبادل كتاباتى بينكم ؟

بين أفـــراد الأســـرة ☐ بين الأصدقاء ☐

بين المرتبطين عاطفيًا ☐ بالمصـادفـــة ☐

٤ - هل تعيد قراءة بعض القصص ؟

نعم ☐ لا ☐ لماذا ؟ ....

٥ - فى أى الحالات النفسية تفضل قراءة كتاباتى ؟

الاستقرار النفسى والعاطفى ؟ ☐

الإحباط العاطفى ؟ ☐

إجابات أخرى ....

٦ - ما هى النسبة المئوية التى يمكن القول إننى أعبر بها عن مشاعركم الإنسانية ؟ (%)

٧ - ما الذى يشد انتباهك فى كتاباتى ؟

الرغبة فى الحياة ☐ مفهوم الحب ☐

مفهوم الحرية ☐ أشياء أخرى ....

٨ - هل تفضل هذا النمط من الكتابة الأدبية ؟

نعم ☐ لا ☐ لماذا ؟ ....

٩ - ملاحظات أخرى :

١ - ....

٢ - ....

الفهرس

مـسـافـر فى دمى ٩

الامـضـاء ... سلوى ٧٧

تعريف بالكاتبة ١٧٩

قالوا عن المؤلفة ١٨١

رقم الايداع
٢٠٠٤ / ١٤٢٧٦
I.S.B.N 977 - 01 - 9203 - 1

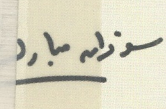
الهيئة المصرية العامة للكتاب

مهرجان القراءة للجميع



مكتبة الأسرة

هذا العام نحتفل ببلوغ مكتبة الأسرة عامها العاشر وقد أضاءت بنور المعرفة جنبات البيت المصرى بأكثر من ٨٠مليون نسخة كتاب من أمهات الكتب فى فروع المعرفة الإنسانية المختلفة.. ومنذ عشرة سنوات تفتحت عيون أطفال كانوا فى العاشرة من عمرهم على إصدارات مكتبة الأسرة وكانت زادهم المعرفى عبر السنوات العشره الماضية لتلهب فى تلك العقول الشابة الآن نهم المعرفة من خلال القراءة وكنا ندرك منذ البداية أن المعرفة هى سلاحنا الأمضى لتأخذ مصر مكانتها فى ذلك العالم الجديد الذى تتفوق فيه المعرفة على القوة والمال لأنها تحمل الإنسان إلى آفاق لا حدود لها فى عالم متغير شعاره ثورة المعلومات و[illegible] كل وسائل الإتصال ولم يكن منطقيًا أن نقف مكتوفى الأيدى.. فكانت مكتبة الأسرة بك[illegible] أساسية نستقبل بها ذلك العصر الجديد، عصر المعرفة وإنا لنتطلع فى الأعوام القادم[illegible] الأسرة ثمارها اليانعة وتساهم فى التغير المعرفى والتكنولوجى لمعطيات العصر لتفسح [illegible] يشارك بدور فاعل فى تقدم البشرية الجديد لنكون امتدادًا حضاريًا معاصرًا للحضارة ا[illegible] التى كانت أهم وأقدم الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.





٢٠٠ قرشًا